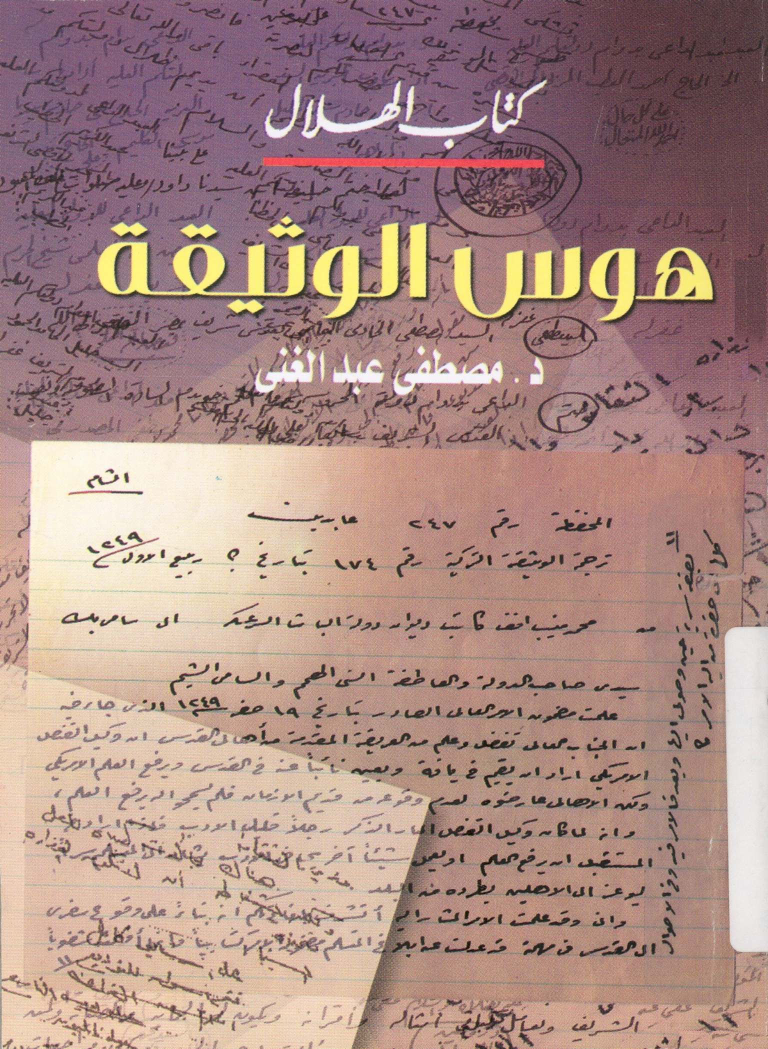

كتاب الهلال
هوس الوثيقة
د. مصطفى عبد الغنى

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر شهيب

رئيس التحرير

عادل عبد الصمد

المستشار الفنى

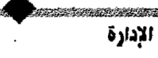
محمد أبو طالب

المدير الفنى

محمود الشيخ

مدير التحرير

أحمد شامخ



الإدارة

القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) - المكاتبات: ص.ب: ٦١٠ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا: المصور - القاهرة ج.م.ع

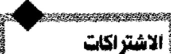
تلكس:

Telek: 92703 hilal u n

فاكس:

FAX : 3625469

الإصدار الأول / يونيو ١٩٥١



الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - أوروبا وآسيا وأفريقيا ٤٠ دولارا - أمريكا وكندا والهند ٤٥ دولارا - باقى دول العالم ٧٥ دولارا.

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الاشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

ثمن النسخة: سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٢٥٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١,٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١,٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢ دولار - سويسرا ٤ فرنكات - السودان ٣,٥ جنية

البريد الإلكترونى: darhilal @ idsc. gov. eg

هوس الوثيقة

..... مشاهد وشهادات أخيرة

د. مصطفى عبد الغنى

الغلاف للفنان : محمد أبوطالب

مستشار التحرير : محمد رضوان

رقم الإيداع
٢٠١٠/٥١٨٦
I.S.B.N
977- 07- 1394-5

أما قبل مشاهد أولية :

هذه هى المحاولة ..

مشاهد أولية وشهادات أخيرة فى حضور الوثيقة..

وهى محاولة ؛ تسعى – كغيرها – إلى تحرى الصدق كما كتبت على الغلاف ، جهدت فيها أن أكون صادقا فى ميثاق كتابة السيرة بين السارد والشخصية إلى حد التطابق بين السارد الذاتى والسارد المتماهى فى هذه المحاولة ؛ خاصة وأننى لم أسع فى الغالب لاستخدام ضمير الغائب وإنما سعيت إلى تأكيد الخطاب المباشر فى السيرة الأولى (الذاتية) ، وسعيت أكثر لتأكيد هذا الخطاب فى السيرة الثانية (الفكرية) ، وهو ما بدا أكثر وضوحا هنا – كما نرى– مشاهد ووثائق ومراسلات وشهادات – لتأكيد صيغة من ميثاق السيرة خاصة حين تغادر الماضى إلى الحاضر أو تجاوز مكر الذاكرة إلى واقع الحاضر أو تغادر تماهى المصطلحات والتعريفات الأولية إلى السعى إلى الحقيقة ..

وقد يكون من المهم أن نفتح قوسا لنضيف من أن هذه المحاولة تنتمى إلى العنوان الذى اخترناه هنا :

المشاهد والشهادات ، لتضيف إلى الاعتراف سمة التوثيق والتحقيق فى محاولة لرصد سنوات قائمة من حياتنا المعاصرة فى الحقبة الأخيرة فى تاريخ المنطقة .. وهنا نغلق القوس ونمضى ..

...

بيد أننا قبل أن نمضى لابد وأن نشير إلى أننا آثرنا أن نؤكد هذا التعريف بإضافة إيجابية أخرى، وهى أنه يجب أن يصحب هذه السيرة بشكلها العام صورة أخرى - عبر الفصل الأخير - يمكن أن يتمثل فى تقليد ليوميات كما يعرفها أصحابها ، وإن كان لابد أن نسارع بالقول هنا ، إنها محاولة نقل خيوط الطيف من زمننا لإعادة التحديق به فى مرآة الحاضر..

عبر بعض أوراق الكاتب وليس كلها ؛ مرجئين التجليات الفكرية لمرة أخرى ..

إنه إيهام يشير إلى أننا لانستطيع أن نغفل رصد ما يحدث هنا بمعزل عن العصر السيبرى ، جديد ، بكل مافيه من مدركات واعية وغير واعية ..

إن المحاولة هنا تمثل لونا أو جنسا أدبيا فنيا وليدا فى عصر جديد حيث تمثل الصورة حجر الأساس لهذا الجنس الأدبى - الفنى الذى يجب أن يتبلور فى الحياة الثقافية والفكرية اليوم فى عالمنا العربى فى زمن يعرف تواليات الاكتشافات المبهرة وحيث لم يعرف الكاتب العربى بعد تأثير الصورة عبر بروتوكول الإنترنت volp والمدونات والشبكات الإنسانية فى زمن العزوف عن القراءة وفى الوقت نفسه زمن الاقتراب من المدونات والاتصالات عبر التأثير الجديد ..

وهو ماننتمهل عنده أكثر فى الفصل الأخير ..

لقد سعيت هنا لرصد حركة التاريخ فى امتداده (المضارع المستمر) ، وبحكم تخصصى إذ كان تخصصى العلمى الدقيق هو (فلسفة التاريخ) ، ومن ثم ، سعيت أن يسهم فى ذلك دور مجتهد فى مدرسة التاريخ ، تميزا محايدا متخلصا من زمن الكتابة ومحاذيرها ؛ وقبل هذا وبعده ، يكون أقرب إلى النسيج الإبداعى فى وقت لا نغادر فيه النسيج العلمى ، أو هكذا حرصت ... ..

هذه مقدمة طالت رغما عنى لأؤكد على أن ما أقوم به الآن فى الضلع الثالث - كما الضلع الثانى- إلى المحايدة ، وكما كنت فى الجزء الثانى شاهدا على الأحداث فى عصر، كذلك أضفت إلى الشهادة هنا رموزها العلمية من وثائق ومستندات مراسلات .. وما إلى ذلك كيلا أقع فى الولع بالماضى أو تأثيره الذاتى..

وعلى هذا النحو، بدا حرصى على السيرة أكثر ولعا بالشاهد المحايد أو الشاهد الذى يحمل - حين ارجئنا اعتراف السارد / الراوى فى اسهاب أكثر عبر يوميات «عابر سبيل» لتنشر تباعاً .

وثمة مرات عديدة - وثائق ومستندات ، أو الذى يحمل غالبا هم الكاتب المصرى فى العصور المصرية هنا منذ أكثر من سبعة آلاف عام .. وهو ما كان يمكن أن يخرج بالمحاولة هنا إلى جنس آخر من الأجناس الأدبية لولا حرصى على ألا تخرج الدلالة هنا عن هذا الاعتراف الذاتى (الجمعى) فى الوقت نفسه..

أو الذاتى الجمعى المحايد كما أجتهد..

وهل يمكن أن تكون هناك سيرة - أية سيرة ذاتية أو إبداعية بعيدا عن المنهجية الواعية على اعتبار أن صاحبها هنا عاش فترة من أهم فترات التاريخ وهى نهايات القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادى والعشرين .. وسعى لتدوينها بين يدى الكاتب ساعيا على الابتعاد عن الكتبة وما اكثرهم فى عصرنا ؟

هذا سؤال حاولت الإجابة عنه عبر مراجعة سعيت إليها بدأب شديد ..

وحال مراجعة المشاهد هنا يمكن أن تشير فى الشكل إلى أنواع كثيرة، إذ لمست شكل المذكرات وأكدت على روح الشهادة ولم أضن بعديد من القصائد التى ترتبط بكثير من المشاهد وتؤكدها خاصة فى الحقبة الأولى من العمر .

وهو ما نصل معه إلى التنبه إلى ضمير السرد، فحين حرصت منذ البداية على (أنا) السارد (الكاتب) حرصت ايضا على أنا السارد (الراوى) ، فضلا عن الكينونة المرتبطة بهذه الذات فى فترة زمنية ومكانية محددة واعيا فى جميع الحالات بدور ضمير السرد فى رسم اطار الذات عبر التجسيد المستمر المتوالى ...

وإلى جانب النوع والضمير جهدت أن أكون واعيا أشد الوعى بهذا التماهى بين الأزمنة سواء زمن السيرة الماضى ، المستعاد ؛ أو زمن الحاضر المستمر الاستعادة أو - حتى - زمن الحاضر/ المضارع المستمر، زمن الكتابة منطلقا عبر هذا كله إلى مجهول غير متعين من الحيرة والخوف.

وثمة استطراد هنا مضطر اليه .

فقد يكون من المهم هنا الاشارة الى أن المشاهد التى حاولت أن أقدمها الآن تباينت بين عديد من القضايا الفكرية والسياسية ، وبقدر ما سعيت لتأكيد هذه المشاهد عبر الوثيقة والأعتراف والشهادة ، لم أجد مفرا من إدراج العديد من الوثائق التى لم ترفق- فى الجزء السابق الذى نشر بدار الهلال فى الصفحات الاخيرة.

عمدت الى ان تكون الوثائق هنا استكمالا لمشهد من المشاهد الدامية فى حياتنا الثقافية ، ومن ثم ، آثرت بأمانة ان أرفقها فى نهاية هذا العمل ..

حين أصبحت وراء الويب وجدتنى أغيب فى البحث عن هذه المستندات المصورة او المكتوبة هنا ، ووجدتنى قدشغلت بأشياء اخرى كنت أبحث عنها ولا أجدها ، ووجدتنى ، اكتشف - فجأة - أن رأسى أصبح صافيا ، عيناى يشع منهما بريق الاهتمام ، قلبى ينبض للبحث عن المجهول ، أو

المعلوم الذى تركته ليصبح مجهولا .. ماذا ؟ رحت أسأل وأجيب - هل الإقبال على العمل على هذه الشاشة البيضاء، ينزع عنى هذا الصداع القاتل ، والكآبة المريرة .. اذن ، لأواصل .. لكن هنا عديدا من الصحف العربية والفرنسية كنت أحضرتها منذ قليل من الخارج ، حاولت أن أبدأ للأطلاع ، لكنى تركتها لأعود اليها وانا اكتب هذه السيرة الآن..

وقبل أن أنهى هذه المقدمة لابد ان أكرر أننى رصدت لهذه المشاهد فى السيرة عبر الاسفار المعاصرة، اى أننى كنت كلما عشت فى أزمنة او تجربة جديدة اسرع الى تسجيلها هنا فى زمن حضورها، ومن ثم ، فأنا لم أخرج من انواع السيرة عبر اشكالها : المذكرات او اليوميات او الشهادات او - حتى - المحاورات -.. وما الى ذلك كما فعلت فى الجزئين السابقين ، وكما سعيت ان يكون الزمن تابعا لهذا الحدث أو ذاك كما هو

الحال فىزمن الكتابة غير غافل عن الأزمنة الاخرى فى الماضى أو المضارع المستمر أو الزمن غير المحدد الذى يمكن أن يستشرف المستقبل فى اللحظة التى أعيشها هنا والآن .. فلايجب إغفال حقيقة مهمة هنا ، وهى ان استعادة الماضى فى الحاضر المستمر هو الذى دفعنى للتمهل عند فترة زمنية دون إشارة الى تكرار حدوثها مرة أخرى ، فالتاريخ كما تعلمنا يظل فى المرة الاولى دراما حادة قاسية ، وفى المرة الاخرى - فى حالة التكرار - تتحول الدراما الحادة الى ميلودراما هزلية قاتمة قاسية ..

هذا هو ماعشته ووعيت به كثيرا وتركت للمتلقى الكريم الوعى بالمشاهد الاخيرة من هذه الدراما الموحشة فى هذا الحاضر المستمر الكئيب .. وهى مشاهد تتكرر وتتكرر ولا تتوقف أبدا ؛ هو ما حرصت على تدوينه هنا خين نشير - على سبيل المثال - الى المثقف وثورة يوليو عبر

الوثائق أو علاقتنا الرتيبة والدامية والقائمة والقائمة بالعم سام او حتى تكرار مشاهد الانتخابات المريبة المحزنة باتحاد الكتاب أكثر من مرة مما يحدد الايقاع الرتيب السائد الرائد فى التكرار السقيم ؛ فقد تكررت مهازل القوائم المتآمرة والصلات الشللية المريبه والفساد المستشرى المريع فى انتخابات المرشحين لعديد من المراكز والرموز والمؤسسات . (ما حدث فى شتاء ٢٠٠٧ هوهو ماحدث فى شتاء ٢٠٠٩ وما يحدث وما سيحدث ..!!) .. الى غير ذلك من الاحداث والمواقف والمشاهد والشهادات واستعادة الوثائق وتكرار المستندات ....

حرصت أن أدون التاريخ / المضارع بدلالته الاولى التى تتكرر فى هزل وزيف فى هذا المضارع المستمر .. ولا تتوقف ابدا !!

حتى وهى تتحول من الدراما الى الميلودراما فى تكرارها المخيف السخيف !!

بيد أننى لا أستطيع أن أنهى هذه السطور أيضا قبل ان اشير الى بدهية الطرح العام ، وهى البدهية التى يخرج بها القارىء اللبيب من تماس هذه العلاقة بين الكاتب والكتبة ، او احد الكتاب وأحد انماط الكتبة فى التاريخ فى الذاكرة الحية ، واقصد بها المعانى التى تتزاحم حين نستعيد معنى الكاتب من التاريخ المصرى القديم ، هذا الكاتب الذى كان يحمل فى الوجه المعنى النظرى العام ، وفى النقيض المعنى الآخر المغاير .. ونذكر جميعا هذا الكاتب / الرمز ؛ الذى كان متربعا ويمسك بلفافة بردى على حجره فى الاسرة الخامسة فى مصر القديمة او متحف اللوفر فى الزمن الحديث حيث بدا، كما جاء فى النصوص القديمة عن الكاتب وله هذا النص:

هو لايدفع ضرائب. كانت مهنته مريحة أكثر من أية مهنة أخرى ، فهى تعفيك من العمل، وتحميك من كل عمل، وتنقذك من حمل فأس ومعزقة، لا يتحتم عليك أن تحمل سلة، ولا تحتاج إلى أن

تمسك مجدافاً، وتخوض المتاعب، لا تكون تحت إمرة كثير من السادة، أو جمع من الرؤساء،لأن الكاتب رئيس كل ذا مهنة، كن كاتباً كى تصير أعضاؤك ناعمة، وتصير يداك نظيفة، وتسير فى ثياب بيضاء فيعجب بك الناس، ويحييك رجال البلاط. تنادى شخصاً فيلبى نداءك الألوف، وتسير حراً فى الطريق.

وتضيف النصوص القديمة ايضا ان هذا الكاتب .. هو .. كل من استعمل القلم من المتعلمين أو الكهنة، سواء لتدوين سجلات عمل ما، أو لتسجيل كلمات الرب، أو لإنتاج كتب الحكمة، أو لقيد الحسابات والمساحات، وكان جميع الكتبة أعضاء فى هيئة أخوية تحت حماية تحوت، الكاتب الإلهى الى غير ذلك مما تشير اليه النصوص القديمة ، بما تحمل دلالة المعنى الواعى للكاتب ، حين يظل مع جميع هذه الوظائف وتلك المسئوليات هو الكاتب الواحد الواعى المستنير لا احد الكتبة الذين يحملون داخل التاريخ وخارجه

هذا المعنى الذى ينصرف اليه الذهن حين نتحدث عن الكاتب الكاتب وهو هو السبب الذى دفعنى لهذا العمل .

قد يكون من المهم أن أذكر القارئ اللبيب هنا أننا دونا هذه السطور فى عصر الثقافة الرقمية ، وعبر وسائلها الثرة ، وفى عصر الثقافة الرقمية الصحف والدوريات ؛ ومن هنا ، فإن السياق الأخير هو مايدفعنى أن أترك هذه المحاولة قبل الخروج الأخير .

وهوهو السبب الذى يدفعنى بعنف لاعترف – الآن – اعترافا ثقيلا على قلبى ، ان هذا التناقض بين الكتاب والكتبة هو الذى عذبنى طويلا وأنا مازلت أعمل عنه وله قبل ان أحصل على اطروحة الدكتوراه وبعدها ..

وهو هو ما سعيت به الى أن أنهى هذه الصفحات ، محزون الفؤاد ثقيل القلب ، يسيطر على كيانى هذا الاحساس الممض – الرعب من

الزمن ، الأحساس الحائر - .. الممض بالحاضر الذى لايغرب عن ذهنى أبدا أننى مفارق ، وهذه اللحظة القاتمة المريعة التى أراها آتية فى نفس اللحظة التى أعيشها او التى تطاردنى بعنف مريع عبرهوس الوثيقة وقانون الزمن ..

أو .. لا أستطيع ان أعبر عن (هول) لحظة الزمن التى أعيش فيها وأنا اقرأ وانا أعى وانا أصمت مع قول الرسول(ﷺ) وهو ينادى الفتى ، الأنسان ؛ فى كلمات بليغة أن .. إنى اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف .

والله أعلم

شتاء ٢٠١٠ مصطفى عبد الغنى

(١)
المثقف وثورة يوليو.. الوثائق!

«المثقفون ليس لهم إلا أدوارهم»

(سارتر- الهوية والأخلاق ص ٦٣٩)

كان المثقف هو همى الأول دائما ، أو اكتشفت انه همى الأول منذ قراءاتى الاولى ، او بعد سنوات من العمر لأكتشف أو أعيد اكتشاف رؤيتى الخاصة عن هذا المثقف ، عالم الدين الذى كان ، وهويحل مكانه الآن هذا المثقف المغبون ، سواء برؤيته أو موقفه .. ومراجعة كتاباتى أو كتبى على وجه التحديد يمكن أن اكتشف اننى عنيت بالمثقف كثيرا فى كثير من الاجناس والانواع من مثل هذه العنوانات :

- طه حسين و السياسة
- تحولات طه حسين
- طه حسين وثورة يوليو:

- طه حسين الذى لايعرفه أحد
- المفكر و الأمير
- المثقفون وعبد الناصر
- المثقف العربى و العولمة
- الذاكرة المثقوية " نهب وثائق العرب "
- المراكز البحثية العربية - "
- المستشرقون الجدد ،
- وثائق ومذكرات ثورة يوليو .

فضلا عن ألوان الطيف التى توزعت فيها اهتماماتى فى شتى المجالات من مثل :

- الفريسة و الصياد: الدور الأمريكى فى اغتيال حسن البنا
- مؤرخو الجزيرة العربية:
- المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية
- فضلا عن المكانة الاثيرة لهذا المثقف فى كتاباتى

كلها سواء فى الابداع فى المسرح الشعرى أو ثلاثية السيرة الذاتية او فى تنويعات ادب الرحلة او التراجم او الترجمة .. وما الى ذلك مما نجده بدهيا فى أعمالى كلها ..

على انه يمكن الملاحظة انى فى الوقت الذى سعيت فيه لرصد هذه العلاقة بين العالم أو رجل الدين والامير فى التراث العربى أو فى رصد هذه العلاقة بين المثقف والامير فى العصر الحديث ، ولا أريد هنا ان اطيل حول رصد موقف هذا المثقف ، لكننى اتمهل هنا عند لون واحد من ألوان الطيف لهذه الرؤية ، وهو الذى يمكن ان نلاحظه خاصة فى كتاباتى الاخيرة ..

ورغم ان ألوان الطيف كثيرة - كما أشرت - فإننى سأكتفى بهذه العلاقة بين المثقف والامير فى العصر الحديث ، فأكثر ما لفت نظرى منذ فترة مبكرة - ولازلت حتى بعدالستين - هو رصد ديناميه هذه العلاقة بين المثقف وعبد الناصر، مسرعا الى الاحداث متمهلا عند الرمز ودلالاته فى هذه العلاقة ، سواء فى تحديد دور هذا المثقف وتنويعاته أو انعكاس الكثير من القضايا فى مرآة هذا المثقف مثل الموقف من "كاريزما" الحاكم او العلاقة بين هذه الكاريزما " اذا كانت صحيحة والوعى الاجتماعى ،وكان اكثر الامثلة اشارة الى هذا واشادة به هذه العلاقة بين المثقف والسلطة بين المثقف والامير ، هذه العلاقة التى كنا نرى الاشارة اليها عبر التركيز على سلبيات عبد الناصر فى الصحف الكثيرة ، خاصة

القومية منها، وحتى غير القومية التى نعثر عليها تنتشر كالفطر فى هذه الفترة التى تتحدد بين نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين ..

ويجهد جهيد سوف أخلص الى هذه العلاقة – كمثال رمزى – لهذا الواقع الذى تعيش فيه أمتنا العربية – ومصر أهم أقطارها .

وسوف أترك رصد هذه العلاقة بين المثقف (العالم) والامير فى التاريخ كله لأعيد صياغته هنا فى المثال الذى نحياه فى هذه الفترة التى أعيش (الشهادة) فيها وبها ..

أقول أتوقف ، بمثال ، فحين جاءت الذكرى الخامسة والخمسون لثورة يوليو (عام٢٠٠٧) وراحت تتعالى موجات الهجوم على التجربة الناصرية فى غيبة أقطابها ومثقفيها ، او فى حضور نتائجها او مخالفيها فى هذه الفترة المعاصرة من بدايات الألفية الثالثة .. وكان أن ترجمت هذا فى صيف ٢٠٠٧ على صفحات (المنتدى الادبى) الذى أتشرف برئاسته بالاهرام من سنوات ...

وقد يكون من المهم أن أنقل هنا هذه المحاولة للدخول في هذا الزخم الغريب الذى يعيش فيه مثقفونا ، فأنشر في الخميس الاخير من يوليو الرأى الذى يعبر عن فكرى في هذه الفترة ، وسوف أترك هذه المحاولة هنا بالحرف الواحد بعد ان أمدتنى السيدة هدى عبد الناصر منذ فترة بعديد من الوثائق ، خاصة ما أثبته فى كتابى (مذكرات ووثائق) عن ثورة يوليو ، كما أسهم فى ذلك الكثيرون من المقربين لعبد الناصر طيلة الخمسينيات والستينيات ، وكان أهمهم هنا سامى شرف ، فضلا عن عديد من (المصادر الحية) – كما يطلق على الشهادات التى اهتممت ان أسجلها لهم ومعهم من بين المقربين لثورة يوليو، أو العاملين معها فى الدرجة الاولى أو الثانية .

أعود لأشير الى ما كتبته فى نهاية يوليو فى صيف ٢٠٠٧ عبر هذه المشاهد :

مشهد

انتظرت بعد مضى ذكرى ثورة يوليو لأسمع واعرف وأفهم مواقف المثقف من هذه الثورة بعد أكثر من نصف قرن مواقف المثقف(المثقف) الذى يرى للثورة ما لها وماعليها ، فى وعى شديد لسلبيات الثورة وإيجابياتها ، خاصة اننا الان بعد أكثر من نصف قرن على قيام ثورة نعايش آثارها، مازلنا؛ ونتعايش مع ما انجزته من ايجابيات مازالت تسرى او ايجابيات مازالت، تجرى على ألسنة الكثيرين من نقاد الثورة ومبغضيها ..

أردت أن اتعرف أكثر على العقل المصرى المعاصر من خلال مثقفيه وسياسيية ممن يلعبون هذا الدور الفكرى فى تاريخنا العربى المعاصر ..

ففى الفترة الاخيرة ، او فلنقل فى السنوات الاخيرة ارتفعت نبرة الهجوم على الفترة الناصرية الى اقصاها ، صحيح ان هذه الحملة بدأت مع وبإيعاز من الرئيس السادات فى السبعينيات ، غير ان الجديد الان مايردده الكثير من المثقفين(المثقفين) حولنا ، الذين لايجدون لثورة يوليو غير

انجـازات عـادية او"استـبـدادية"هذا هـو مـاتبـقى!!، وان هذه الثورة ورمـوزها كانت حادة في رد الفعل ضد رمـوز الافكار والشخصيات السابقة على الثورة وامتدادهما في فترة الثورة، وزادت هذه اللـهجـة او الاتـهامـات في بدايات الالفيـة الثـالثـة بشكل يلفت النظر ..!!

نقول ونذكر ان رمـوز الفترة الناصرية تجد اتهامات تأتي هذه المرة من المثقفين ، وبعض الكوادر السياسـية !! وكثيرا ما استمـعنا الى مثل هذه الترهات في أكثر من ندوة ، ولدى أكثر من كاتب، كأننا نسمع من هذه الندوة التي عقدت باسم (الجبهة الديمقراطية) لوم الكثيرين عبر مناقشات ساخنة لعبد الناصر كرمز من رموز الثورة ، بل أننا نسـمـع من مثقف كبير " ان أخطر مـا تبقى من ثورة يوليو هو الظلم السلطوى الذى رسخ لسـيطرة الفـرد الحـاكم"!!وعـلامـات التـعـجب من عندنا ويضـيـف آخـر رفـضنا(القـومـيـة العـربيـة) التي سـعى اليـهـا الرئيس المصرى في زمن التكتلات الكبرى ..

وقد يعـجب المرء من هذا كلـه ، وقد يوافق على بعضـه لكن اتهام الثورة ، خـاصـة فترة عبد الناصـر ، باتـهـامـات مطلقة مـوقف يجـانبـه الصـواب في كـثـيـر منه، ومـا نجـده الان من

غياب دور مصر الاقليمى والقومى ثم الدولى والتقدم فى جناح الاشتركية.. وما الى ذلك يظل علامة هامة لايمكن تجاهلها قط اليوم .. .

ويمكن هنا أن نوافق ان ثورة يوليو عرفنا معها الكثير من القيم الايجابية خاصة دورها المتقدم فى دول العالم الثالث ودورها ضد الاستعمار الغربى الاوروبى او الامريكى فضلا عن هذه المكتسبات الداخلية ، وهو ما نعجب له حين نسمع من البعض " د. على السلمى على سبيل المثال" يؤكد ان ماتبقى من ثورة يوليو هو سلبياتها واختفى منها دور مصر الاقليمى والقومى والدولى..الخ

قد يمكن نقد بعض مواقف الثورة الان – بعد مضى كل هذه السنين – ، لكن النقد (المحايد) يغاير فى كثير النقد(المعاند)؛ وهذا النقد الاخير مازال يحمل غضبا وضغينة للثورة التى أسهمت فى تأكيد الاتجاه الاجتماعى وتغيير القيم الطبقية التى كانت سائدة وأسهمت فى تغيير الكثير من الواقع السلبى الذى كان يعيش فيه الانسان المصرى .. ولعل البحث عن موقف المثقف من الثورة يتحدد فى كثير من الاشارات الدالة نكتفى منها بأثنتين

- الأولى مايتردد من قمع لبعض المثقفين وما يردد هنا عما يسمى(أهل الثقة وأهل الخبرة).

- قضية "كاريزما "البطل التى كانت عالية بآثارها السياسية السلبية أكثر من ايجابياتها كما قرأنا وسمعنا..

فمن الغريب ان موقف عبد الناصر من المثقفين كان إيجابيا الى حد بعيد، فى الشهادات الاخيرة التى تؤكد هنا آخر شهادة اليوم : وهى شهادة سامى شرف وقد كان معاصرا وحيويا فى هذه الفترة فإلى جانب إشارته الى أن عبد الناصر كان قارئا نهما لعبد الرحمن الكواكبى ومصطفى كامل ومحمد عبده ويشير الى قراءة عبد الناصر لفيكتور هوجو وتشارلز ديكنز وفولتير وجان جاك روسو وروبسبيير وشكسبير، و يشير الى الاثر الكبير الذى تركه كتاب مثل كتاب"عودة الروح" لتوفيق الحكيم، كما يشير الى احتفاء عبد الناصر بالمثقفين فى كثير من المواقف من أمثال محمد التابعى و أحمد بهاء الدين ويوسف ادريس متمهلا عند موقف عبد الناصر من يوسف ادريس حين كان يكتب يوسف إدريس بمجلة (حوار) ، ولم يكن ليعرف أن لها ارتباطات وثيقة بالمخابرات المركزية CIA، وهنا يشهد سامى شرف

ان عبد الناصر قال له ان يتصل بيوسف ادريس ويقول له على لسانه" انه حرصا من عبد الناصر على شخص يوسف إدريس الذى يحبه ويحترمه ويقدره ولا يحب ان ينال منه شخص او اتجاه مريب ، فان مجلة"حوار" اللبنانية لا يليق ان تكون بها صفحات عليها توقيع هذا الانسان النظيف الشريف يوسف ادريس، وان عبد الناصر على اتم استعداد لأن يقف بجانبه مهما تكن الظروف"، وهو مادفع يوسف ادريس لاتخاذ موقف ايجابى ولم يكتب ثانية فى المجلة .

الى جانب ان عبد الناصر كان يدون اقتراحات القاعدة الثقافية ، كان يكتب بخط يده المطلوب (مسرح فى القاهرة/ دور سينما فى القاهرة/ ..) بل حرص ان يكتب بخط يده يجب أن تكون فى كل عاصمة من عواصم المراكز الحدائق ، ودار للكتب .. الى غير ذلك ممايؤكد اهتمام عبد الناصر - على المستوى الشخصى بمشروعات ثقافية يهتم بها المثقفون .. بل نجد الكثير من الشهادات لعبد الناصر بخط يده فى شهادة سامى شرف التى نشرت أخيرا، وفى كتابة صاحب هذه السطور فى أحدث كتاب له عن مذكرات ووثائق عبد الناصر ..

وإذا كـان يؤخـذ على الثـورة بـعـدها عن الديـمـوقـراطيـة ، واحتضـانها لـ(كاريزما) البطل ؛ وهي الاشارة الدالة الاخرى من ان قـضـيـة "كـاريزمـا "البطل التى كـانت عـالية بـآثارها السياسـية السلبية أكثر من ايجابياتها وهو مـاتنبه له عبد الغفار شكر- على سبيل المثال – جين أكد أنه (كشـهادة ايضا) بعد هزيمة يونيو وفى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا اقترح عبد الناصر – على سبيل المثال-قيام حزبين وهو ما رفـضـتـه اللجنه وهو دليل على ان عـبـد الناصـر أدرك بعـد الهـزيمـة أهمـيـة التـعددية ولفت الى أننا مـازلنا نناضل ضـد قـوانين وضـعت فى عـهـد الثـورة كقـانون الجـمـعـيات الاهلية مـشددا على ان تكون المرحلة المقبلة هـى مرحلة المقاومـة من أجل اسـتكمـال البناء الديمـقـراطي وتداول السلطة وحـرية الاعلام ..

وشـهادات هذه الفترة تؤكد حقيقتين أساسيتين ، منها أن عبد الناصر لم يقم بما يؤكد على هذه (الدكتاتورية) التى كان يمكن أن تنال من المناخ السيـاسى ، فـضـلا على أن امـامنا دولا كثيرة عرفت الديكتـاتورية فى أبشع صـورهـا، وفى الوقت

نفسه عرفت تطبيقا رائعا للعدالة الاجتماعية بما يتنافى مع "الكاريزما" للقائد يمكن ان تكون عامل إحباط.

إن هذا الموقف والموقف الآخر - المقاوم - يمكن أن نجده في بساطة في أي حوار بين رموز الثورة ومنتقديها ، نجد هذا في الصحف أو المؤتمرات ، خاصة التي تزيد في (ذكرى) قيام الثورة .. وإنجازاتها ، ونجده في كثير من الشهادات الواعية المحايدة بعيدا عن تصفية الحسابات أو المواقف الشخصية او الاجتماعية ..

وبعد، هل يكفي نصف قرن او يزيد للإشارة الى موقف عبد الناصر من المثقفين أثناء حياته ، وموقف المثقفين من عبد الناصر- خاصة - بعد رحيله..

وبين وجود عبد الناصر ورحيله شهادات دالة واعية ..

وفي الفم ماء كثير.. والجدل مستمر..

....

وما لبث ان تحدَّث اليَّ سامي شرف ، في حوار طويل ، وآثر ان يترك شهادته - كما هي - وكان له ما أ راد ، وقد دفعت شهادته للنشر في الاسبوع التالي مباشرة ؛ وتوالى مشهد آخر..

المشهد التالى

نقول :

ما كدنا نطرح قضايا الثورة والثقافة، خاصة ، قضية الديمقراطية، حتى جاءتنا ردود وتنويعات وكتابات كثيرة، ربما كان اهمها هنا ما ارسله الينا سامى شرف نضعها هنا بالحرف بين يدى القارىء اللبيب :

(شهادة سامى شرف .. أزمة ديمقراطية كلام مبنى للمجهول :)

قبل كل شىء لابد من التمهل عن الديمقراطية .. وهو ما نقفز به الى الامام قبل ان نعود الى الوراء .فالكلام عن أن ما حدث فى سنة ١٩٦٧ يعتبر أزمة ديمقراطية كلام مبنى للمجهول ، بمعنى أنه لو كان هناك حزبان مثلا أحدهما يمينى، والآخر يسارى لكانت الهزيمة العسكرية لم تقع !

قد يكون العكس هو الصحيح افتراضا ، لأنه يمكن القول أن عدم وجود تعددية سياسية هو الذى لم يجعل البلد تتفتت . فلو فرضنا مجرد افتراض أنه لو كان هناك حزبان فإن الحزب المعارض كان سيتكالب على المؤسسة العسكرية التى بقوتها كانت ـ بحسب رأيى ـ ستجذب إليها كل المعارضين ،

والوحيد الذى كان يستطيع أن يحد من تجاوزات المؤسسة العسكرية هو الرئيس جمال عبد الناصر الذى تعرفه تلك المؤسسة جيدا، وتعرف قدراته الحقيقية سواء من ناحية أفكاره ، أو تأثيره على الجماهير أو عدم التأثير على جذبه .

السؤال : هل الديمقراطية هى حرية المستغلين فى الاستغلال فقط ؟

إن أبسط تعريف للديكتاتور هو الحاكم الذى يقهر الأغلبية من شعبه لمصلحة الأقلية المستفيدة من حكمه ونظامه .

فهل كان جمال عبد الناصر يقهر الأغلبية ؟

لقد عاش الرجل ورحل وهو يحارب من أجل أن تسترد الأغلبية من شعب مصر وأمته العربية - ويمكن أن نقول بلا مبالغة ودول العالم الثالث أيضا - حريتها وإنسانيتها وحقوقها فى أن تصوغ حياتها بنفسها ، ولقد تمتع جمال عبد الناصر بما لم يتمتع به زعيم أو قائد من نفوذ وحب شعبى جارف ، وكانت جماهير الأمة العربية من البحر إلى البحر هى الدرع الواقى لجمال عبد الناصر ، وهذه الجماهير لم تكن بالقطع عمياء ولا عرجاء ، فالقول بأن جمال عبد الناصر كان ديكتاتورا فيه إهانة للشعب واستخفاف بوعيه . لقد كان

جمال عبد الناصر ديكتاتورا بل كان طاغية بالنسبة للإقطاع والاستعمار والاستغلال ، لكنه كان بطلا وزعيما ومحررا عظيما بالنسبة للغالبية الساحقة من الشعب بعماله وفلاحيه ومنتجيه وفقرائه . . الجماهير كانت مصدر إلهامه وقوته وعلاقته بها كانت مباشرة وعابرة لكل الوسائط . هل ننظر إلى الديمقراطية من المنظور الليبرالى الغربى ؟ هل هى فقط مجرد حرية التعبير - وكانت موجودة - دون النظر إلى المفهوم الاجتماعي للحرية ، إن ما ينقص جماهير الأمة العربية كلها ليست حرية التعبير بل ينقصها حقوق أكبر من ذلك وأخطر المجتمع المصرى فى بداية الثورة كان فيه حرية سياسية بمفهوم ضيق ، حيث أن نصف المجتمع - المرأة - لم يكن له حق التصويت ، كما كان الترشيح حكرا على من كان يملك نصابا معينا من الثروة ، وبالنسبة لسن الترشيح فقد كان واحدا وعشرين عاما فخفضت إلى سن الثامنة عشرة ، وبالتالى فقد كان - من الناحية العملية - حوالى ٨٠ ٪ من الشعب خارج نطاق الحريات الليبرالية التى يتشدقون بها ، هذا بالإضافة إلى الأمية والجهل واحتكار نصف فى المائة تقريبا لثروات البلاد . أليست هذه هى المصادرة العملية ؟!

لقد قالها جمال عبد الناصر عالية : " إن تحرير لقمة الخبز هو أول وأهم شرط لتحرير إرادة الناخب . "

وبدأ الرجل بعد ذلك فى إعطاء المواطن المصرى نصيبا معينا من ثروة بلاده ، وقضى على الاستغلال أو كاد فأسقط أعتى موانع الحرية . . الفقر . وبذل جهودا جبارة من أجل التنمية وتحديث المجتمع ، ثم وسع قاعدة الحقوق والخدمات فى البلاد وعلى رأسها حق التعليم المجانى فى الجامعات والعلاج المجانى ، وقفزت إلى السطح طبقات وقوى ما كان لها فى ظل الأوضاع القديمة إلا أن تظل مقهورة على هامش الحياة فى المجتمع . كان الرجل يبنى الديمقراطية والحرية الحقيقية للمواطن ، وبدأ العد التنازلى لبناء القاعدة السليمة الصحيحة وهى تغيير الظروف الاجتماعية التى كان يستند إليها القهر السياسى . وكان الطريق طويلا . . . وقد يسأل سائل : إن الثورة توقفت عند بناء القاعدة دون أن تكمل فوقه البناء لديمقراطية السياسة ؟وأقول أن السياق الذى جرت فيه الأحداث مهم جدا لأنه هو الوحيد الذى يفسرها بواقعية فعشية الثورة كان على المسرح السياسى أحزاب الأقلية

التابعة للسراى والإنجليز ، ثم حزب الوفد ، والإخوان المسلمين والشيوعيين . الوفد أعلن موقفا معاديا لتوجهات الثورة فى التغيير الاجتماعى مبكرا ورفض قانون الإصلاح الزراعى الأول ، وشاركه فى هذا باقى الأحزاب المرتبطة بالسراى وبالإنجليز وهى قوى تلاشت قدراتها على التأثير تحت ضغط التأييد الشعبى الجارف للثورة وبرنامجها للتغيير الشامل، وانسحبت قاعدة حزب الوفد الجماهيرية من تحت قياداته وأيدت الثورة . أما الشيوعيون فلم يستطيعوا أن يفهموا ما حدث الفهم الصحيح ، وكانت نظرتهم قاصرة ووقعوا فى أخطاء تقييمهم للثورة ، وسجنوا أنفسهم فى داخل نماذج نظرية جامدة وبعيدة عن واقع المجتمع ورأى الأغلبية ، وكان رأى أكثرهم فى الثورة أنها مجرد انقلاب عسكرى فاشى باعتبار هذا الوصف والكليشيه الجاهز لديهم، ولم يستطيعوا إلا متأخرا أن يضعوا أيديهم على الجوهر التحررى المتقدم لبرنامج ومنجزات الثورة .

إن اليسار الحقيقى فى مصر هو الشعب . . جماهير الناس الذين عاشوا وحملوا المسئولية ، مسئولية القضية الوطنية والاجتماعية ، والذين أصبحت مصر لهم .

هؤلاء هم اليسار الحقيقى النين لا يمكن أن يتجهوا يمينا ،أو أن يسمحوا لليمين أن يحكمهم أو أن يرتد بهم ولا أن يعيد الملاك والرأسماليين . إن اليسار ليس طائفة أو فرقة أو حزب ولكن مجموع الفقراء والمحرومين ومن يتطلعون إلى عالم أفضل وإلى مجتمع إنسانى ، هؤلاء هم اليسار . أما الإخوان المسلمين فقد كانوا منذ البداية يبذلون المحاولات لفرض الوصاية على الثورة ومحاولة احتوائها ، وحاولوا تنصيب أنفسهم كالأب الروحى للثورة ، لتلتزم بالتالى بتوجيهاتهم السياسية وحينما شعروا بفشلهم فى احتواء الثورة وفرض وصايتهم عليها ـ خصوصا بعد فشل محاولاتهم بالاشتراك مع الوفد والشيوعيين فى التآمر على الثورة والقضاء عليها فيما سمى بأزمة مارس ١٩٥٤ التى كان من مخططاتها أيضا احتواء اللواء محمد نجيب ، تلك المحاولة التى تصدى لها شعب و عمال مصر بحق وأفشلوها بانحيازهم إلى مصالحهم بالوقوف إلى جانب استمرار الثورة ـ تحولوا إلى ممارسة نوع خطير من الضغط تمثل فى العنف والإرهاب المسلح التى بلغت ذروته فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ فى حادث المنشية بالإسكندرية حين حاولوا قتل جمال عبد الناصر ،

هذا الحادث الذى كانت له ردود فعل واسعة وجعلت منه نقطة تحول مهمة فى سلوك النظام الثورى وذلك بتدعيم وتقوية الأجهزة الأمنية كإجراء وقائي وهو حق مشروع وواجب وطنى فى مثل هذا السياق إذن فهناك أسباب موضوعية وليست تبريرات لما حدث من صدام مع القوى السياسية والقول بغياب الديموقراطية السياسية فيه كثير من التجنى . فلا يمكن إغفال إعطاء المرأة حق الانتخاب والترشيح وقد سبقت بذلك الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا وبعض بلدان أوروبا وتخفيض سن حق الانتخاب إلى ١٨ سنة ، كما ولا يمكن تجاهل حق العمال الذى كفلته لهم الثورة فى اختيار ممثليهم فى مجلس إدارات شركاتهم ومصانعهم ، مع توسيع قاعدة المشاركة فى الحكم . ولم يقل أحد أن هذه الأمور قد تمت لاسيما أنه كانت هناك تحديات خارجية وداخلية تجابه الثورة طوال الثمانية عشر عاما دون ما انقطاع . ولا ننسى فى هذا المجال ممارسة عبد الناصر للنقد الذاتى .

وهذا ظاهر فى أغلب محاضر اجتماعات مجلس الوزراء ومجلس الرئاسة واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى والمؤتمر القومى العام وأمام مجلس الأمة والقيادة العامة للقوات

المسلحة واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وبصفة خاصة تلك الجلسات التى عقدت بعد الانفصال بين سوريا ومصر وفى أعقاب عدوان يونيو١٩٦٧ حتى رحيله عام ١٩٧٠ وكل محاضر هذه الاجتماعات مسجلة ومحفوظة فى أرشيف سكرتارية الرئيس للمعلومات بمنشية البكرى وما أريد أن أؤكد عليه هو أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد وصل إلى قناعة تامة فى أعقاب عدوان ١٩٦٧ أن تجربة الاتحاد الاشتراكى هى ليست نهاية المطاف وحدد رؤية مستقبلية تتمثل فى ضرورة التعددية الحزبية .

لقد كانت معوقات الديمقراطية فى تجربة عبد الناصر تتلخص فى العناصر التالية :

المؤسسة العسكرية التى أصبحت شبه طبقة تستميت فى سبيل المحافظة على امتيازاتها ، وتقف حجر عثرة أمام أى نظام سياسى شعبى يضعها فى مكانها الصحيح . وهذه المؤسسة لم تسقط إلا بعد عدوان يونيو١٩٦٧ . التنظيم السياسى كان يتم تكوينه من فوق ، من مواقع السلطة ، مما يترتب عليه تسرب البيروقراطية والانتهازية التى سعت إلى تجميد حيوية التنظيم السياسى وتفاعلاته .

كان الرئيس جمال عبد الناصر هو القيادة السياسية الوحيدة ، والزعامة التى يمكنها أن تستجيب لها الجماهير لينظمها - سواء فى مصر أو فى العالم العربى - ولكن انشغاله حال دون ذلك نتيجة أوضاع فرضت عليه فرضا ولم تكن أبدا بمبادرة منه كما أنه لم يكن له يد فى الابتعاد عن مجابهة هذه الأخطار الخارجية والداخلية بشخصه فى أغلب الأحيان

لقد فرضت تحديات الأعداء سواء من الداخل أو من الخارج إلى الاستعانة بدور نشيط للأجهزة الأمنية

الاستراتيجية المعادية كانت أيضا سببا ، فمصر مفتاح المنطقة ولابد أن يظل هذا المفتاح محفوظا فى مكان معزول وناء ، ولابد أن تجرد مصر من قوتها وثروتها ، وأهم من ذلك من شخصيتها ، وأن تصنع لها شخصية أخرى تابعة .

بعد كل هذا فإنه من الغريب أن يطالب البعض بحمد الله على مساحة الحرية الممنوحة لنا ، وأن نتقبل قيد الحريات مذكرين إيانا بأيام المعتقلات وكبت الحريات ! أقول لهؤلاء لمن كانت ستمنح الديمقراطية فى بداية الثورة ؟ هل كانت ستمنح للباشوات ومجتمع المستغلين والإقطاعيين الذى كان يشكل

النصف فى المائة ؟ أم تمنح للمواطن الحر ؟ للعامل وللفلاح وللمنتج وللمرأة وللفقير المحروم .

إن الديمقراطية هى الحق الذى لا يمكن منحه .

والديمقراطية فى تجربة عبد الناصر قد طبقت بمفهوم حق المواطن فى التعليم والعمل وإتاحة الفرص المتكافئة أمام الجميع ، حق العامل فى المشاركة فى الإدارة ، وحق الفلاح فى امتلاك الأرض ، وحق المشاركة والترشيح فى المجالس الشعبية والنيابية والنقابية لكل فئات الشعب .

لقد سلمنا جمال عبد الناصر الأمانة لكى نكمل المسيرة ، فهل نحن قادرون على أخذ حقوقنا ؟ وهل نحن قادرون على الدفاع عنها وحمايتها ؟

انتهت الشهادة هنا ، وفى اليوم التالى راح سامى شرف "يتلفن" لى مؤكدا ردود الفعل الايجابية الكثيرة التى جاءته ، وهو ما لمسته على المستوى الشخصى..

غير انه قال بصوت هادىء :

- اردت اعرف منك فقط ، من لم ينشر صورته مع الشهادة اكدت له انها ليست مقصودة ، راح يقول لى هل لاحظ "الديسك المركزى هذا بالجريدة فحذفها ؟ اكدته له ان

الحذف كان لدواع فنية ، وان لا أحد فعل هذا ، راح يقول لى بصوت اكثر دلالة: سامحنى ، فانا أعرف من مصادر موثوق فيها ان رئيس التحرير السابق الذى عاش فترتى السادات ومبارك وقع على قرار شخصى وسرى للغاية الا ينشر لى- لسامى شرف - اى حديث او شهادة او صورة، عدت اليه وكيف عرفت هذا ، اكد لى فى حضور العزيز د، محسن خضر ، انه رأى صورة لهذا القرار ممن جاء به اليه .. رحت اهون عليه ، ليس الامر وراءة نية .. تحدثنا طويلا ، اكد انه ارسل لى منذ يومين محاضر مجلس الوزراء عقب الانفصال مباشرة ، وهى زاخرة بالكثير عن الفترة الناصرية اكدت له اننى استلمتها وسوف ارسلها اليه لنشرها .. بدا راضيا وودعته لاعود الى الحديث مع الدكتور محسن فى مساء هذا اليوم ٢سبتمبر ٢٠٠٧، حملت اوراقى من هذا المكان فى وسط القاهرة الذى يحمل اسم ام كلثوم ، مضيت مع الصديق حتى مضى ، وعدت انا لاثبت هذه السطور وبين يدى الكثير من الوثائق بخط عبد الناصر ساضعها هنا بين يدى القارىء اللبيب..

الساعة تتجاوز الرابعة صباحا ، اعود لهذه الصحف الفرنسية او الانجليزية لأحاول رصد مايحدث فى هذا العالم..

[illegible]

هذه وثائق بخط يد جمال عبد الناصر

ميدان الثقافة والإرشاد القومي:-

1- بناء دار للكتب عربية في القاهرة
حالة مكتبة مع أسس تقدم
بها كل المستندات والمراجع لجذب
الناس بأنظارها والإطلاع.
ونشئ فروعها من دور الكتب العامة
بعواصم المديريات وعواصم
المراكز.

2- نشر الأفلام ومن كتب ورسائل ثقافية
في عواصم البلاد.

3- نشئ بناء دار للسينما في كل
عاصمة مديرية تعطي فيها أفلامه
مسرحيا [illegible] أدنى ثمن للأهالي.

4- حماية السينما - المصرية باستغلال
[illegible] الدولة - لإنتاج أفلام تاريخية
تاريخية - وحربية - بالدولة
[illegible] أن تنهج إنتاج سينمائي للشعب
يمكن أن تكون الأفلام الأمريكية العربية
الخطر [illegible] الإيطالية أو الدولية للناحية
الإنسانية - أو الأخلاقية - ولكن لا يمكن
الأفلام العربية لإنتاج [illegible]
المسرحية والفنية [illegible]

كما يجب أن نهتم [illegible] ببناء
[illegible] في القاهرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
التي [illegible] الرجوع [illegible]
ولعل [illegible] حسبنا [illegible]
أولاً في [illegible]
[illegible]
ويجب أن يكون [illegible]
[illegible] مستشفيات [illegible] والتوزيع

- يجب أن [illegible]
مستشفيات [illegible] المستشفيات [illegible]
[illegible]
[illegible]

- يجب أن يكون [illegible]
مستشفيات [illegible]
التي [illegible]

كذلك [illegible]

كذلك [illegible] والولادات
التي [illegible]

كذلك نحقق لنفسنا بكل الثقافات
ونحسن الكتب الخ ـ

ـ وحاشيه أن نجد بلد عربيه تنقصه الثقافة
بشكل عام ـ بينما نحن نعمل لنفسنا بكل
شيء ـ وبرامج شعبية ـ ومكتبة
عامة ـ وسماع بالخير ـ
ومشاكل الابناء الاجتماعية ـ ولذلك
أن [illegible] ـ أن الدولة ـ تتابع [illegible]

ونحن لن نحقق ذلك الا بكل [illegible]
[illegible] العلم كله الدولة ـ
تتابع العمل ـ الاساسية [illegible]
[illegible] ـ [illegible]
[illegible] العربية ـ
على أن نحقق ذلك [illegible]
[illegible] الصالح ـ

العرض:

يشرفني [illegible] بأن العرض في [illegible]
البنية بالعرض الحي بالقاهرة ـ
في الحفل بالاسكندرية ـ وفي اسوان
في الاقصر ـ
يمكن اعطاء العرض اعانة لتطوير
الحكم ـ
[illegible] العرض ـ لكي يتحصل على
أن نجدد أو نغير ما يلزم ـ

مشروع لتوصيل الكهرباء الى القرية
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الكهرباء
خطة القرية
[illegible] صحية بالقرية
مبنى [illegible] القرية
نادي للقرية
سينما للقرية من [illegible] [illegible]
الاهتمام على [illegible] في القرية [illegible]
نشاط للشباب الثقافي [illegible] [illegible]
وجوائز [illegible] وترفيه
وكذلك الاهتمام على الحركات [illegible]

[illegible] في القاهرة
بعد [illegible] [illegible] القاهرة

— [illegible] بين [illegible] [illegible] القاهرة
[illegible]
— [illegible] [illegible] بالانتاج والتوزيع
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] في
[illegible] الاقتصادي
[illegible] [illegible]
[illegible]
الطابع العربي
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الطابع العربي [illegible] [illegible] [illegible]

(٢)
أنا والأستاذ.. والعم سام

(١)
العروش والجيوش.. والانجليز أيضا ؟!

.. تتوالى المشاهد

حين يقول الأستاذ : كان ظنى أن.. فهو يعنى كان يقينى أن هذا الظن الذى يتصاعد فى مخيلة الاستاذ ليصبح يقينا, هو ما قصده حين تحدث عن الظن فوجده يعنى ان الالتفات الى الوراء ليس تلكؤا مع الماضى وانما هو ضرورة لسلامة السير. بمثل ما يفعل سائق سيارة يريد لنفسه الأمان.

وعلى الرغم من انّ الاستاذ يسهب حول الضرورة التى تدفع السائق للنظر الى الوراء ,فإنه يصل بسرعة الى انه بدون العود الى الماض يمكن ان يكون السفر الى المستقبل ضربا من المغامرة ,أولونا من التقصير المتعمد' ومن هنا ,فهو يحرص ان يؤكد لنا من البداية أنه بدون التنبه الى ماكان يمكن أن تتحول قيادة السيارة من سفر الى خطر.

لماذا نقول هذا كله وبين أيدينا كتاب محمد حسنين هيكل (العروش والجيوش) ؟..

الإجابة ;لانه يحرص على أن يؤكد لنا كيف أو (كذلك انفجر الصراع فى فلسطين) ـ هذا هوالعنوان الثانى للكتاب ـ ولانه يحرص على ان يؤكد لنا بدهيات نسيناها جميعا فى زحمة بديهيات أخرى فرضت علينا,فى وقت واحد: الاحتفال بمرور قرنين على غزو الحملة الفرنسية ,تأمل نصف قرن على الهزيمة أو النكبة كما سميناها ثم رياح واى ريفر ثم هذه الضجة المفتعلة حول لجنة(الأونسكوم) قبل ان يبدأ قصف السبعين ساعة المشارك الاول فيها الانجليز!!..

وهنا يطرأ سؤال آخر ,هو ,ولماذا الانجليز وحدهم ؟

والعود الى كتاب الاستاذ – اذن– يذكرنا ببدهيات نعرفها أو لا نعرفها ,على ان الخطورة فى الحالتين ,اننا لا نحول البدهيات الى واقع ,ومن هنا ,فانه سعى الى (يوميات الحرب) أوراق نادرة بعد خمسين سنة على الحرب – ليحاول العود خلالها الى الماضى.عود حميد اذن ,بأوراق وثائقية واستاذ وشاهد ووجود انجليزى سافر لم يفهمه الكثيرون، ولا يعرفه الجيل الجديد..قضايا كثيرة نتمهل فيها عند قضية واحدة ، ونرجىء غيرها الى مابعد ,هى قضية الموقف الانجليزى فى الحرب ,أو – بشكل أدق – موقف القوات الانجليزية فى هذا الوقت منا .

ورغم ان هذا الموقف لا يبدو جديدا، فقد تعرفنا عليه فى كثير من الوثائق التى ظهرت او الكتابات الكثيرة التى تناولت القضية هل هى مصادفة ان اكثر الكتب التى نشرت فى الفترة الاخيرة كانت تركز على أرض فلسطين وحلقات الصراع بيننا وبين الغرب خاصة الدور الانجليزى الشرير ومن هذه الاعمال حكومة عموم فلسطين لمحمد خالد الازعر وكتاب القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ترجمة كل من د. محمد عنانى ،فاطمة نصر وربما كانت آخر دراسة مهمة موثقة فى هذا الصدد للدكتورة هندامين البديرى وقدم لها د. عبد الخالق لاشين .

ولنتمهل عنده الآن عبر (يوميا ت الحرب) التى يضعها الاستاذ هيكل بين أيدينا مما يثير فينا الحس التاريخى، ويضع نقاط اليقين على حروف كثيرة، ثم انه فى نهاية الامر للذكرى التى قد تنفع !!

فلنتمهل عند اليوميات وهذا القناع البارد للسيد الانجليزى المريب أو نكتفى منه ببعض مانعرفه من هذا الموقف .

ان الموقف الانجليزى المريب حينئذ لا يختزل فى أن القوات البريطانية كان موقفها غريبا وانما يفسر حتى بعد إنهاء الانتداب فى١٤ مايو ١٩٤٨. ان القوات الانجليزية كان

لديها جدول أولويات له توقيتات لافتة للنظر ،ذلك ان الجزء المقرر لليهود بمقتضى قرار التقسيم بدأ تسليمه لقوات الهاجاناه مبكرا ،ومبكرا جدا فى بعض الاحيان ،حتى ان القوات البريطانية قامت بتسليم مناطق الجليل ابتداء من شهر مارس واوائل ابريل× واما فيمايتعلق بالجزء المخصص للعرب بمقتضى قرار التقسيم فإن القوات البريطانية تبدو مصممة على التمسك بالامر والنهى فيه حتى الدقيقة الاخيرة من سريان عهد الانتداب ..

وصحيح ان بعض قوات المقاومة العربية راحت تعمل فى بعض المواقع، لكن القوات البريطانية راحت تشرف على الساحة من أعلى ، ولا تسمح للقوات العربية أن تشن من مواقعها أية هجمات تتعدى الخطوط المقررة ، ولا حتى لدرء أخطار قادمة والمزعج أكثر من ذلك كثير - كما يضيف الاستاذ ان اوامر صدرت الى قيادات المعسكرات البريطانية ببيع مهمات لا لزوم لها عند الانسحاب بعد إنهاء الانتداب وكانت هذه المهمات تباع كلها للجانب اليهودى .

كما أن حدود ماالايلزم له جرى توسيعها فاذا هى تشمل أسلحة وذخائر وجرارات وعربات نقل ومهمات متعددة

الاغراض.هنا نلتقى إمعانا فى الدور الانجليزى المريب دورا مشبوها للانجليز فى علاقاتهم – على أرفع مستوى بالجيش المصرى .

فقد استطاعت القوات الانجليزية الدخول مع المصريين فى صفقة (خادعة) بيد ان تفصيل الصفقة نرجئه قليلا قبل ان نستكمل الدور الظاهر لها فى الارض الفلسطينية وبين النيات المراوغة لها اننا نلتقى بالدبلوماسية الانجليزية وتحركات العناصر البريطانية بخطوات محسوبة .. لكنها فى الوقت نفسه كان يمكن أن تثير الريبة فى وقتهاكان الجانب الانجليزى يظهر– علنا– ضيقه بعمليات الهاجاناه وتجاوزاتها وكان يبدى فى الظاهر أيضا نوعا من التضامن مع القوات العربية وعروشها وكان يظهر– فى الكلام المعلن فقط – تأييده لبعض المواقف العربية ،غير أن واقع" الاستراتيجية" ، الانجليزية التى كانت وراء هذا كله تخفى الوجه الحقيقى . كان الوجه الظاهر يخفى القناع الذى تتعامل به عقول الانجليز مع العروش العربية وجيوشها ..

ولأننا لسنا فى معرض الحديث عن العروش ،فسوف نعود الى القناع الانجليزى لنرى كيف يمكن أن نرصد عددا من

التصرفات تنم عما يخفيه هذا القناع من لؤم مازال قادرا حتى اليوم يخفى على الكثيرين ،ومازال لدينا من يعجب ويضرب كفا بكف حين يعلم ان الدولة الوحيدة التى رضيت ان تكون مع القوات الامريكية فى قصف العراق هى دولة الانجليز .

ان الموقف الانجليزى المعاصر لا ينتمى الى أحلام الانجليز ، وأطماعهم فى المشاركة مع اصحاب النظام الجديد فقط ،وانما ينتمى الى هذه الجذور المخادعة التى لعبت دورا أقل مايقال فيه انه كان ضد القوى العربية على طول الخط فى أهم معاركهم على الاطلاق فى القرن العشرين .

لنعد الى القناع ،ونرى ماوراءه ،فقد كان يمكن- رغم كل شيء- تمييز عدد من الاسباب تفسر هذا الموقف الانجليزى .

نترك" الاستاذ" يفصلها وهى على النحو التالى:

١ ـ ان خطة انشاء دولة يهودية فى فلسطين هدف بريطانى ـ وغربى اصيل ،والضيق من تجاوزات عناصر عسكرية صهيونية مسألة تثير الذعر لكنها ليست كافية لتغيير الخطط. وعندما أوشك البريطانيون على الخروج من فلسطين معلنين انتهاء انتدابهم عليها فقد كانوا مع الامريكيين غير

بعيدين عن الموقف الصهيونى فى فلسطين ،وهو كحد أقصى: كل فلسطين لليهود ـ وكحد ادنى: لا دولة فلسطينية بين النهر والبحر وانما ضم الضفة الغربية الى امارة شرق الاردن ،وهو ما كان بالفعل قيد التنفيذ .

٢ ـ ان التفكير الاستراتيجى البريطانى بعد الحرب كان مشغولا بمنطق انه اذا كان الانسحاب البريطانى ضروريا من بعض المناطق فالافضل أن تترك الامبراطورية وراءها نزاعات محلية وإقليمية تستلزم جهد الاطراف ، وربما تجعلها أشد حاجة الى الامبراطورية الأم ،وذلك حدث فى شبه القارة الهندية من قبل ولعل الامبراطورية البريطانية وجدت لسياستها بعد انسحاب قواتها ـ فرصة نموذجية وكاملة فى الشرق الاوسط ،فهى أمام نزاع له جذور وأسباب حقيقية وعميقة ،والانتقال بالنزاع الى درجة الصراع ـ وقد كان ذلك مؤكدا فى كل الاحوال ـ لا يحتاج منها الى أكثر من لمسات غير مرئية وربما غير محسوسة ،وبعدها يكون لها ومن طبائع الاشياء وحقائقها أكثر مما تتمنى .

٣ ـ يضاف الى ذلك ايضا أن بريطانيا كانت الدولة التى تعرف عن حقائق القوة لدى أطراف النزاع ـ القابل للتحول

فورا الى صراع - اكثر مما يعرف غيرها ولعلها كانت تعرف عن احوال الجيوش العربية باكثر مما يعرف قادة هذه الجيوش، كذلك فقد كانت تعرف بالضبط ما لدى القوات الصهيونية وخصوصا ان موظفيها العموميين فى فترة الانتداب هم الذين سمحوا وصرحوا، كما ان عددا من كبار ضباطها وفيهم رجال من أمثال الكولونيل اوردى وينجت دربوا وسلحوا. والغالب انها كانت تقدر ان الجيوش العربية قادرة على سفح بعض الدم اليهودى في فلسطين ،ولكن القوات الصهيونية قادرة على سلخ وطن بأكمله فيها ومعنى ذلك ان دولا عربية - وبالتحديد مصر - سوف تشعر بعد التجربة بالتهديد المباشر عليها ،وسوف تكتشف بالتجربة أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها وبالتالى تتواضع فى طلب جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس وهنا يفتح الاستاذ هيكل قوسا ليكتب" وشىء من ذلك كله حدث ،تحقق فيمابعد " .

.. ويستكمل ملامح القناع الانجليزى أكثر مع توالى الاحداث :

اننا امام يوميات الحرب التى تكشف الكثير لمن يريد ان يعرف أكثر ومن يكون- كالاستاذ هيكل - شاهدا فى الميدان،

إننا أمام يومية تشير الى أغارة الطائرا ت المصرية اثناء الحرب على مواقع انجليزية وعلى سماء تل أبيب فى الساعة .كذا من العمليات الحربية فى رسالة إلى رئاسة عسكرية ومدنية مسئولة» ثم اذا بنا أمام تعليق الاستاذ لينتقل بنا من عام١٩٤٨ الى عام١٩٩٨ فيكتب ,دون إثقال الصورة بالتفاصيل امام القارىءان هذه الحادثة وما تلاها وما أحاط بها من ظروف اخرى سبق شرحها ـ ان ترجح ماتوحى به شواهد كثيرة من ان الحكومة البريطانية لم تكن تمانع فى دخول الجيوش العربية ـ فى ذلك الوقت ـ للمشاركة فى القتال على أرض فلسطين ,بل لعلها كانت بوسائل هادئة تحرض عليه لاسباب لديها تتعلق بخططها الاستراتيجية فى المنطقة عموما باكثر مما تتعلق بحق العرب فى فلسطين وواجب اخوتهم على الساحة الاخرى من الحدود فى نجدتهم حماية لهم من العدوان ,حماية الوطن من الضياع .

ولا ينسى الاستاذ ان يشير الى هذا النص الذي تركه الجنرال جلوب قائد الفيلق العربى الاردنى ,ويقول فى نهايته ما يثير عشرات الدلالات: كنا ممنوعين من دخول أى مناطق مخصصة للدولة اليهودية بمقتضى قرار التقسيم وبالتالى فإن

خططنا جميعا كانت بالتوافق مع اوامر الامم المتحدة ويموافقة من الحكومة الانجليزية .. ونقفز بسرعة من صفحات كثيرة وأوامر عسكرية كثيرة لنتوقف عند شيء سماه الاستاذ "بالمذهل" وفصله بأن البترول المصرى من مصر والبترول العراقى من العراق كان يصل الى فلسطين المحتلة والى القوات الاسرائيلية فى فترة الحرب وبعدهاونتخفف قليلا من هذا الذهول حين نعرف ان شركات البترول التى كانت تزود اليهود بالبترول العربى كانت شركات بريطانية وان كانت تسيطر على البترول العربى، انه القناع البريطانى الشرير من جديد .

تنتهى (يوميات الحرب) كما قدمها لنا الاستاذ كمادة خام ،ثم حين اجتهد وقدمها لنا عبر التحليل عبر اليوميات والارشيف الاسرائيلى ومخطوطات وزارة الدفاع الامريكية وشهادات مسجلة لعسكريين ومدنيين شهدوا الحرب وشاركوا فيها ،نقول تنتهى اليوميات ولا ينتهى التعرف أكثر على قناع السياسة البريطانية المعادية لنا ، فلنتعرف المرة القادمة على هذه (الصفقة) الكاذبة مع مصر ..

كيف ؟ولماذا ؟.

(٢)
الجهل بالتاريخ العربى.. وتزييفه!!

ونعود ثانية إلى جهلنا بتاريخنا.

وقبل ان نستطرد أكثر، ثمة نقاط يجب الاشارة اليها عفوا، إحداها ما أسَّره القراء - البعض- لنا بشيء من الدهشة اننا اولينا الدور الانجليزى فى كتاب (العروش والجيوش) لمحمد حسنين هيكل اهمية كبيرة فى حين ان هذا الدور كشف لنا عن نفسه من قبل ومن كثير من الوثائق, ويمكن ان يكون هذا صحيحا ـ نرد.. ـ لو اننا امتلكنا الوعى بما حدث فى ضوء التاريخ اولا وفى ضوء العلاقات الدولية الجديدة ثانيا ثم لم نغفل طبيعة المرحلة التى تمر بها بلادنا العربية بعد نصف قرن او ينيف من النكبة ,ثالثا ثم ان الجيل الجديد فى بلادنا لايتذكره ولا يكاد فى اخطر فترات تاريخنا قاطبة بعد ذلك .

ويمكن ان يكون هذا صحيحا لولا ان ما جاء طيلة فترة طويلة كنا قد طرحنا هذا كله.

جاء مايؤكد هذا ـ نسياننا (نحن الكبار من الخاصة) او جهلنا (نحن الصغار من العامة) بأهم أحداث تاريخنا الوطنى ،وقد ترجم هذا فى عديد من ردود الافعال لدينا إما على شكل فاكسات او خطابات او حورارات مستمرة ؛سوف أكتفى منها بفاكس واحد يعلق على ماكتبناه قبل ان نعود إلى امثلة اخرى وردود افعال اخرى كثيرة . وكله يلقى فى تيار الجهل بالتاريخ ومايترتب عليه .

من فاكس طويل ارسلت به مربية فاضلة قضت اكثر من نصف قرن فى الجامعات المصرية ننقل هذه الفقرة : تقول استاذة الحضارة الفرنسية :

كثيرا ما دهشت من جهل طلبتى بأهم احداث تاريخنا القومى بل وجهلهم بكل مادار فى العالم من احداث جسام، كان تأثيرها على تاريخنا ومسيرتنا القومية واضحا لأى جاهل يفك الخط ،بل ودهشت اكثر لما أسمعه أكثر أيضا من أخطاء تاريخية فادحة لبعض أساتذة تاريخ يفتون فى التاريخ فى أحاديثهم عبر نافذة التلفاز المضللة على جميع الأوجه . وكانت صدمتى أفدح ،عندما أتيحت لى المناقشة مع بعض الاساتذة المتخصصين على حد تعبيرهم ،بسبب استيائهم من آرائى.. وهذا من حقهم ثم أكتشف انهم لم يقرأوا لى سطرا

واحدا مما كتبته فى هذا الصدد ,فهمت آنذاك ان السبب انبهارهم حتى يومنا هذا بنابليون .. ولم اعجب بعد ذلك وهم ممن يؤلفون الكتب المدرسية للأسف الشديد - بجهل طلبتى وقد تبدى لى جهل هؤلاء الاساتذة ,من سياق المناقشة, بأبسط الوقائع التاريخية المعترف بها ,أيا كان رأيهم فى الحملة الفرنسية على مصر. وكانت الفجيعة بالنسبة لى تجاهلهم التام للامبراطورية العثمانية وتأثير تيارات الاصلاح فيها قبل وصول الحملة مما يشرح الكثير من قرارات محمد على بعد ذلك فى تحويل مصر إلى دولة مركزية حديثة. وتضيف هنا: تخرجت فى المدارس الفرنسية من الشعبة العلمية ,وعلى الرغم من ذلك ,كانت مادتا التاريخ والجغرافيا من اهم المواد. فالطبيبة والمهندسة حتى آخر هذه المهن العلمية، لايحق لها ان تجهل تاريخ بلدها. ولذا فلاشك فى انتماء الفرنسى لبلده ، انتماء يصل إلى حد الشوفونية.

ولكن أليس هذا أحسن من حال طلبة لا يعرفون شيئا عن ماضيهم فلا يشعرون برباط وثيق مع مجموعة مواطنين يشاركونهم هذا الماضى بأمجاده وماضيه. ولو أنك تابعت

التلفاز الفرنسى ,لعجبت لعدد البرامج المكرسة للتاريخ ,حتى قرر مؤخرا تخصيص قناة بذاتها للتاريخ.

«ألا يحق لنا ان نتبهر فعلا بهم وهم على هذا الحرص لتعليم المواطنين التاريخ ,سواء اكان محليا او عالميا؟ انت على حق عندما تكتب ان الكتب المدرسية كأنها نشرت فى فرنسا وليس فى مصر ,كتبها هؤلاء الكتاب والمؤرخون المفتونين بأسطورة نابليون ,وتحت إشرافى رسالة ماجستير تبحث عن تأثير المؤرخين المصريين فى النصف الاول من هذا القرن ,وقد توصلت الباحثة إلى نفس هذه النتيجة : أيكون من نتحدث عنهم تلاميذ هؤلاء المؤرخين؟ ربما ـ ولكن ذلك معناه الوحيد ونحن فى نهاية القرن ,إنهم لم يقرأوا شيئا آخر منذ ستين عاما.شيء مفجع لمستقبل العقل المصرى و.....

د. ليلى عنان

استاذة الحضارة بجامعة القاهرة

تنتهى السطور ونواصل صورة هذا الجهل وندلل عليه برد فعل آخر من القراء ممن يعملون فى هذا المجال حيث تحتل هذه القضايا ـ فى التربية والتعليم ـ أهمية قصوى خاصة

حين يتعلق الامر بتاريخنا العربى: (الجهل والتزييف والاهمال بالتاريخ - ذاكرتنا الحية كما رددنا كثيرا) .

وتكون هذه الصورة المفجعة الاخرى لخبير يعمل فى هذا العمل القومى .

الخبير المصرى هنا يستطرد فى خطابه كثيرا حول المقرر.

ويطيل حول المنهجية التى تضع من خلالها المناهج وقد دخلنا الان ـ بالفعل ـ الفية جديدة حقيقة لامجازا.بعد ان يركز طويلا حول آليات النقد لمقرر التاريخ العربى عندنا يتمهل عند عدة ملاحظات نشير اليها هنا على هذا النحو :

« ...... ليس من بين مؤلفى الكتب متخصص فى العلوم التربوية(المناهج) ومن المثير للعجب ان يسهم الدكتور اللقانى فى لجنة الدمج وهى لجنة شكلية لا عمل لها ولا اهمية لها مع انه استاذ متخصص فى المناهج وكان الانفع ان يسهم فى تأليف الكتاب (وهو بالمناسبة استاذ بكلية التربية جامعة عين شمس وليس حلوان كما ورد فى صدر الكتاب!!) ـ يترتب على الملاحظة الاولى ملاحظة ثانية انه لم يذكر اهداف المقرر وان ذكر فى المقدمة اهدافا تثير السخرية نظرا لصلاحيتها لكل كتاب مثل التركيز على الكيف .ـ تنمية قدرات الفهم والتحليل.. مساعدة الطلاب على الاستيعاب.. تحقيق النجاح

والتفوق !!وبهذا التجاهل للاهداف الحقيقية(للمقرر) لن يستطيع ناقد ان يشكك فى جدوى الكتاب مادام يحقق اهدافه المعلنة وهى الفهم والنجاح!!ـ وهو مايسلمنا إلى ملاحظة ثالثة هى انه بالنسبة لقضية الصراع العربى الاسرائيلى من حيث حجم المادة والتوجه السياسى فى تناولها فهو مناسب ومتسق مع التوجه السياسى للمجتمع(الان وليس فى الستينيات على سبيل المثال).ان الدرس يركز على الاطار السياسى للقضية (.. وعد بلفور/ الانتداب البريطانى/ الكتاب الابيض ١٩٣٩/٣/٢٢ مؤتمر بلتيمور ـ قرارات التقسيم١٩٤٧ ـ قرار مجلس الأمن٢٤٢ كمب ديفيد١٩٧٨ ومعاهدة السلام١٩٧٩ اوسلو..) .

وهذا يتسق مع ثقافة السلام والتفاوض واحترام المعاهدات الدولية والتحرك تحت مظلة الشرعية الدولية وهو النهج السائد وخطابه السياسى الرسمى فكيف يمكن وضع مقرر دراسى يتعارض مع التوجه الحكومى؟!! ويصل بنا إلى الملاحظة الاخيرة ـ يترتب على ذلك انه فى ثبت المراجع كتابان فقط عن المشكلة الفلسطينية من بين٥٥ كتابا..

فعلى مايبدو ان مايراه المثقف غير مما يراه النظام التعليمى غير هام ولكن نعود فنقول انه متسق تماما مع

الخطاب السياسى الرسمى حول هذا الموضوع.لكن ـ يضيف هنا الخبير التعليمى ـ هذه العبارة الرأسية :

(يبقى فى الحلق مرارة وفى القلب احزان وكلمات على سن القلم لابد ان تقال وبعيدا عن التفاصيل الايديولوجية لنحاول الحكم على المخرج النهائى للنظام التعليمى برمته.هات عينة من تلاميذ النظام التعليمى المصرى أيا كان عدده ٤٠١/٣٠/٢٠ وايا كانت المرحلة التعليمية واطلب منهم كتابة موضوع تعبير عن ـ على سبيل المثال ـ من عدونا؟ وماهى ملامحه ؟ وكيف نتعامل معه ؟ ونفس التجربة حاول ان تطبقها فى اسرائيل.ثم قارن بعد ذلك بين اجابات المجموعتين لتعرف طبيعة المخرج وايضا لتعرف الفارق..معاهدة سلام ذات بنود واحدة يلتزم بها طرف على نحو وطرف آخر على نحو مغاير..) .

د. سامي السهم خبير بوزارة التعليم .

وتتوالى ردود الافعال الكثيرة من موجهين ومتخصصين كثيرين فى التعليم المصرى ومن شتى فئاته. نقول تتوالى ردود الافعال الكثيرة الينا عن تجهيل التاريخ ،غير ان الذى يفرض

نفسه علينا ،ولايحتاج إلى تدليل كبير ان الجهل بالتاريخ يساوى - بالضبط - تزييفه. وحتى لو لم يكن التزييف مقصودا ،فانه يظل مقصورا على البنيل من تاريخنا ذاكرتنا الماضية ووعينا الحاضر.

ولعل أكثر ما اشار إلى هذا خاصة حين يصل التزييف إلى التاريخ الاسلامى الاستاذ الدكتور احمد رشاد موسى استاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة حين اشار فى رسالة إلى هذا التزييف للتاريخ خاصة تاريخ مصر الحديث وتهميش تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية ، وهى رسالة طويلة .أرسلها الينا مما لاتتسع له هذه المساحة للاسهاب فيها على اهميتها ، نعتذر له ولغيره لضيق المساحة هنا.

غير انه تبقى حقيقتان تنتهيان إلى حقيقة واحدة.اننا امام الجهل بالتاريخ واننا امام تزييف التاريخ واننا - وهذه هى الحقيقة الثالثة - لانجد فرقا كبيرا بين الجهل بالتاريخ ، وتزييفه ، فالجاهل بالتاريخ مزيف له حتى لو لم يكن يدرى.. وتلك مصيبة اعظم وبعد، يبقى فى الفم ماء كثير ومرارة كثيرة أيضا.

(٣)
عود إلى .. "هوس الوثيقة" !!

أمريكا هى الطاعون
والطاعون أمريكا
نعسنا أيقظتنا الطائرات
والصوت امريكا
لأمــــريكا سنحـــفــــر ظللنا (......) .مـــزيكا
هكاكيكا...... وكوكيكا
ربابيكا .... وتكتـــيكا وأمـــريكا لأمـــريكا

محمود درويش .

.. هذه هى مرة أخرى اغالب نفسى فى التعليق على سيرة الاستاذ التى امتزج فيها العام بالخاص ، وسرعان ما يفترقان ، فحين نلحظ ان العامل الذاتى يتغلب فاذا بنا فجأة امام غلبة العامل العام، متواصلا فى رصد اسس النظام العالمى الجديد الذى ظهر فى ارهاصاته إبان الحرب العالمية الثانية " ورث الامبراطورية الفرنسية وبعدين را ح جاى يرث الامبراطورية البريطانية ، التى كنا فى حوزتها فى ذلك الوقت " على حـد قـوله ، وصـولا الى ارهاصـات ثورة يوليـو ومقدماتها..

ومع ان كلام الاستاذ يحتاج الى تعليق وتدقيق ، فانه لايخلو من الوضوح و"الصراحة" التى يدعو اليها ، وهو مايدفعنا لمراجعته فى بعض القضايا ، خاصة، فى الموضوع الرئيسى الذى يمهد به وهو يقترب من اليوم السابق .. الى ماجرى فى ٢٣ يوليو ..

ورغم ان الاستاذ هيكل يشير فى الحلقة الاخيرة الى ماسمى " هوس الوثيقة" وخشية استخدامها بدون المصادر الحية التى (رأت) والمؤرخين الذين فى تعبيره ايضا لم يروا .. فان الوثيقة تظل أيضا مع التنبه لعناصر اخرى معاصرة وحية اهم المصادر التى يمكن الاعتماد عليها ، وهو قد اعتمد عليها بالفعل حين كان يخرج لنا من أن لأخر وثيقة يختلف شكلها ويتعدد تاريخها ويتحدد موضوعها مما يسمح له بمغالبة الكتابة التاريخية فى هذه الفترة الخطيرة التى سبقت ثورة١٩٥٢ (وهو يعى هنا المجازفة باطلاق مفهوم "ثورة" ويطلق على ماحدث تعريفاً طريفاً هو (ثورة الا خمسة) ومضت معها فى الاحداث التى ولع بها ..

ولان الوثيقة تظل تحمل دلالات لايمكن التغاضى عنها مع التنبه لخطورتها مجردة او معزولة عن غيرها فان الوثيقة اكثر ما دفعتنا هنا لنؤيد الاستاذ فى كثير مما ذهب اليه ، غير اننا نختلف معه فى الكثير ايضا ، ومن ذلك ، ان الوثيقة لاتقول

كما يذهب على مدى شهر حركة النظام العالمى الامريكى بدأت فى الحرب العالمية الثانية لترث وتستولى على مستعمرات الامبراطوريات الغربية ، وانما بدأت ابعد من ذلك بكثير، ويمكن فى هذا المجازفة بالقول انها بدأت يوم ان تحررت المستعمرات الامريكية فى القرن الخامس عشر(١٤٩١) ، وسوف نعدو بعد ذلك لنصل الى الفترة التالية، لنرى كيف كانت قناعة الامبريالية تترسخ عبر احداث كثيرة ، والعود الى الوثائق العربية فى هذا الوقت يرينا تأكيد ذلك .

ويمكن أن نشير الى سعى الامريكان الى بناء"النظام العالمى الامريكى" فى مثلين اثنين نتمهل عندهما ، لنرى هذا (الطموح الامبريالى) الذى يسعى للإفادة من المواقع لاهتبال فرصة الهيمنة الامبريالية منذ فترة مبكرة :

أولا : السعى فى القرن التاسع عشر الى الهيمنة على مناطق فى فلسطين . كأحد العناصر المهمه ، بل اهم هذه العناصر فى تحقيق أهدافها ، وهو عنصر الدين، لما تحتويه هذه الاراضى من دلالة مهمة فى هذا الصدد..

ثانيا : السعى فى القرن العشرين، وبالتحديد نختار نهاية الاربعينات ، لنرى ، عبر الوثائق الكثيرة (وهى بين أيدينا

ايضـا) الى الدور الامـريكي وراء اغتـيـال حـسن البنا ، وهو سيناريو لم يتنبه اليه أحد حتى اليوم .

لنتمهل عند المثال الاول ونرجىء الآخر لما بعد ..

● ● ●

بيد اننا قبل ان نعرض للوثائق والاشارات العلمية الكثيرة وهـى بين أيدينا ، لابد من الاشـارة الى هذا الواقع عـبـر تعريفات علمية أصبحت اكثر رسوخا مع الوقت ، ونقصد بذلك التـعـرف على مـايطلق عليـه "الجـمـاعـة الوظيـفـيـة" فى تطورها التاريخى كنموذج تحليلى يفسر لنا مايحدث .

وهو أحد أهم التعريفات التى نجد تعريفا لها فى كثير من الكتابات منها ان التعريف الاول «الجماعات الوظيفية» هى مجموعات بشرية صغيرة يقوم المجتمع التقليدى بإسناد وظائف شتى إليها يرى أعضاء هذا المجتمع أنهم لا يمكنهم الاضطلاع بها لأسـبـاب مـخـتلفـة ولايلبث الغرب ان يحاول تجسيد هذه المجموعات بين أهدافه الاستعمارية "وتوجد جماعات وظيفية في معظم المجتمعات التقليدية، ولكن لاحظنا أن الحضارة الغربية تميل نحو حوسلة البشر، ومن ثم تتضح ظاهرة الجماعات الوظيفية بشكل متبلور فيها. وقد لعب

أعضاء الجماعات اليهودية فيها دور الجماعات الوظيفية، بحيث أصبح اليهودى هو الإنسان الوظيفى، وهذا هو أساس العداء لليهود واليهودية وقد تفاقم الوضع مع عصر النهضة فى الغرب حينما بدأت الجماعات الوظيفية اليهودية تفقد دورها الوظيفى " هناك كما أسهب حول هذا د.عبد الوهاب المسيرى فى كثير من اجتهاداته العلمية ، ومن ثم، تحولت الجماعات الوظيفية من جماعات فاعلة فى الغرب الى جماعات مقيدة للاستعمار الغربى فخارجه ، فراح الغرب الجديد منذ القرن الثامن عشر خاصة يسعى لتوطين هذه الجماعات فى مناطق نائية ومنها منطقة الشرق الاسلامى .

وكانت الوسيلة فى ذلك هى منح الأمتيازات الاجنبية او شيئا أقرب الى هذا المساهمة فى نقل بعض هذه الجماعات من الغرب الى المنطقة العربية أو تحويل اليهود فى الدولة العثمانية والعالم الاسلامى ككل الى جماعات وظيفية تابعة "لدولة اجنبية وتدين لها بالولاء وتتمتع بحمايتها" .

وسوف نلاحظ هنا أن الدولة العثمانية فطنت لهذه الهجمة الاستعمارية الامبريالية الجديدة سواء عبر ممثليها التابعين

لمحمد على فى بدايات القرن الثامن عشر، أو ممثليها المباشرين فى نهاية القرن خاصة مع حدوث الطفرة فى تنامى الاحداث مما أسهم فى التعاون بين بعض هذه الجماعات الوظيفية اليهودية داخل فلسطين اوخارجها فسعت هذه القوى الاستعمارية الى "توطين اليهود فيها باعتبارهم عنصرا حدوديا وجماعة وظيفية استيطانية حتى تظل فلسطين منطقة نفوذ غربية" .

وهو ماسعى اليه الفكر الغربى حين راح شافسبرى ينوه بفائدة العنصر اليهودى فى هذا المضمار، أما لورنس أوليفانت ، فقد طرح مشروعا حدوديا مثيرا لمد خط سكة حديدية من اسطنبول الى بغداد على أن تخصص منطقة بعرض كيلومترين على جانبى الطريق يوطن فيه اليهود .. وهوماعبر عنه أيضا الصهاينة من اليهود من أمثال هرتزل وماكس نورد وغيرهما مما حول العنصر اليهودى الى عنصر وظيفى دال لإحكام السيطرة الغربية على المنطقة العربية خاصة والاسلامية بوجه اخص .وهوما أشار اليه د. المسيرى حين رأى أن التوجه الغربى كان ينظر منذ فترة مبكرة الى العنصر اليهودى على أنه

عنصا وظيفى حدودى. ولهذا، فلابد أن تتحول فلسطين هى الاخرى، من منظور المصالح الغربية ، الى بلد وظيفى حدودى . وهذا يمكن تحقيقه من خلال خلق وضع تجزئة دائم فى العالم العربى الاسلامى.

وحينما تصبح فلسطين بلدا حدوديا تسيطر عليها دولة وظيفية - كما أشار د.جمال حمدان ثم د.عبدالوهاب المسيرى - يمكن توطين العنصر اليهودى فيها. ومن هنا رفض الدول الغربية جميع المحاولات الرامية الى توحيد المنطقة ابتداء من محاولة صلاح الدين الايوبى، مرورا بمحمد على، وانتهاء بمحاولة جمال عبد الناصر ..

ومن هنا ، يمكن تفسير مواقف العديد من البلدان الغربية منذ فترة مبكرة من التاريخ المعاصر لهذا الدور الوظيفى عبر العديد من الامتيازات التى استفادت بها الدول الغربية التى كانت تبحث عن "موطىء قدم لها داخل الدولة العثمانية عن طريق فرض حمايتها على اقلية دينية أو أثنية.." او فرض حمايتها لاستجلاب هذه النماذج اليهودية الوظيفية كما سنرى.

وهذا السعى لتأييد او جلب اليهود من الخارج الى فلسطين هو الذى يفسر ماحدث بالفعل..فقد بات حاجة داخل التشكيل الحضارى والسياسى لتأسيس جيب استيطانى قتالى مملوكى يشكل قاعدة للاستعمار الغربى فى فلسطين، وبخاصة مع توقع سقوط الدولة العثمانية التى كانت تقع فلسطين فى وسطها فى مكان يبلغ الغاية فى الاهمية من الناحية الاستراتيجية ثم وهو عامل آخر كان اعضاء الجماعات اليهودية مرشحين لان يلعبوا دور المادة البشرية التى تفى بهذه الحاجة للنزوع "الصهيونى" نحو نقل اليهود لفلسطين نزوعا متأصلا فى الحضارة الغربية منذ فترة مبكرة

وهومايفسر الكثير من السمات الانتهازية للدولة الصهيونية الوظيفية فيما بعد؛ وهو مايعود بنا الى كثير من الصفات الصهيونية بعد ذلك .. بيد أن مايهمنا هنا العود الى هذه السمات فى جوانبها التاريخية ، وهى سمات تفسر لنا التطور التاريخى لأحياء العنصرية اليهودية عبر بؤر استيطانية تعمل للدفاع عن المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للعالم الغربى ، ويقوم هو بالدفاع عنها بالمقابل – أى أنها دولة وظيفية تعاقدية مع الغرب..

وهومـانقـتـرب منه أكثـر عبـر الوثـائق .عبـر المشـاهد؛ والشهادات ..

● ● ●

تزخــر دور الوثـائق ، خـاصــة المصريـة منهـا ، بهـذه المحـاولات المسـتـمـرة على فلسطين من المحـاولات اليـهـودية خاصـة والامريكيـة على وجه أخـص بالسـعى للأستيـلاء على الارض المقدسة سـواء التى تنتشر حول القدس او التى تقترب من الرصـيف الذى يؤدى الى حـائط البـراق ؛ (وبين أيدينا وثائق كثيرة تؤكد نشاط القنصل الامريكى كما سنرى) .

واذا كانت المحـاولات اليهودية تبدو صهيونية استيطانية منذ البـداية ، فـإن المحـاولات الامـريكيـة راحت تؤكـد النزعـة الامبرياليةالامريكية فى حضـور مـحـمد على فى وقت لم يكن لاحد فى العالم ان يتنبه اليها فى هذا الوقت المبكر ؛ نجد هذا فى فـرمـانات القـدس الموقوفـة على القدس ، كمـا نجـدها فى (حـجج وأمـراء وسـلاطين) وايضـا بعـدذلك فى سـجـلات البـاب العـالى ٩٢٥ - ١٢٨٢ ،أيضـا فى اكـثـر من ثلاثين ملفـا من الفـهارس لوثائق مكتوبة بالتركيـة فى فترة صـعود مـحمد على

بالشام خاصة فى القرن التاسع عشر وقد أرفقنا الكثير منها هنا

وهى النزعة التى بدت منذ فترة مبكرة ولم يتنبه اليها أحد كما نرى..

وهنا تتعدد بين أيدينا الوثائق وتتحدد سمات الوجه الامريكى القبيح ..

تتعدد الوثائق وتتجدد فى فترة مبكرة من التاريخ الحديث من بدايات القرن التاسع عشر الى نهاياته..

ان بين أيدينا العديد من الوثائق التى تؤكد هذا المنحى المبكر لامريكا الامبريالية منذ فترة مبكرة نجدها فى أرشيف هذه الفترة سواء المصرى منها او العثمانى رقم/Y.E.E 136 (110-1) ورقم 1-5-Y.PRK.AZS 27/39-1311 وفى أحداث هذه الفترة سواء الامريكى فيها او الالمانى..

الوثائق الاولى تشير الى تأكيد هذا التوجه الأمريكى المشبوه ورد فعل المسئول – المسئول المصرى والى محمد على بفلسطين فى نهاية القرن التاسع عشر رد فعل المسئول التركى سواء فى الولايات المتحدة الامريكى حيث كان يعمل قنصلا وردود الافعال المتوالية فى العالم فى نهايات نفس القرن– التاسع عشر – ..

وقبل ان نصل الى الوثائق التركية نتمهل عند شبيهتها المصرية في بدايات القرن التاسع عشر ، حين كانت مصرمحمد على تهيمن على المنطقة العربية بفلسطين بحكم تواجد الحاكم المصرى هناك..

ومن المهم هنا ان نشير الى ان الوثائق التركية في هذه الفترة تضمنت حادثة لايجب المرور عليها بسرعة ، وهي ان القنصل الامريكي الذى كان يقيم بيافا كبقية القناصل والسفراء - اراد كما تقول الوثيقة ان يقيم " بيافا ويعين نائبا عنه في القدس ويرفع العلم الامريكي" وتشير المراسلات المستمرة بين المسئولين العرب ومحمد على (فقد كانت القدس تحت سيطرته) الى رفض الوالي مثل هذا القول ، بل رفض الفعل حين تحرك القنصل الامريكي من بلد الى (القدس) خاصة ليؤكد الوجود الامريكي ويكرس له ..

والمراسلات بين ديوان دولة الباشا السر عسكز الى سامي بك (من مصر) كانت تشير الى هذا من واقع التقارير المستمرة التى كانت تاتي الى مصر باستمرار تحذر بكثرة من هذا الاتجاه ، وهو ما نجد له تفصيلا طويلا في الوثائق التركية التي كانت يتراسل بها الوالي مع المسئولين عن القدس (انظر بوجه خاص المحفظة ٢٤٧ الوثيقة التركية رقم ١٧٤ في ربيع اول ١٢٤٩) ..

وتشير دراسة هذه الوثائق فى هذه الفترة الى الحمى التى أصابت القنصل الامريكى ليسعى الى ماسعى اليه ، وفى الوقت نفسه ترصد رد الفعل العربى الواعى لذلك فى هذا الوقت

ان اكثر مايلاحظ على هذه الوثيقة ان أعدادا غفيرة من المسئولين وعلماء الدين ووكلاء مفتى القدس ومؤذنى المسجد الاقصى والمفتى، وغيرهم اهتموا كثيرا بالتوقيع بأختامهم على مثل هذه التقارير التى ترصد للدور الامريكى منذ فترة مبكرة

وهو ما يشير الى ان الولايات المتحدة الامريكية، منذ فترة مبكرة ،كانت لها أطماع كان يجب التنبه اليها بشكل خاص وقد كانت المنطقة العربية تشهد فى هذه الحقبة الزحف الغربى والصهيونى فى آن ، وكان على أى مؤرخ حصيف ان يلاحظ هذا الاتجاه لدى ممثل الولايات المتحدة الامريكية ..

وهو هو نفس التأكيد الذى يلاحظه قارىء وثائق نهاية القرن التاسع عشر .. وقد يكون من المهم ان نسجل هنا بشكل مباشر هذا الاتجاه بدون التدخل كثيرا فى سرد الوثائق : ان الممثل العثمانى فى واشنطن يوجه رسائله

المتوالية الى رئاسة دائرة الكتابة في القصر الهمايوني في عام ١٨٩٩ بقصد منع الهجرة اليهودية الى فلسطين على هذا النحو :

" على أثر ورود الأخبار بجمع اليهود للنقود وتأمين النفوذ وشراء أراضي وغير ذلك من التحضيرات من جهة، وتوجههم مثنى وفرادى وأحيانا بالثلاثين والأربعين إلى جهات فلسطين بصورة سرية، بالرغم من استحالة وضع أفكارهم في تملك تلك البلاد السلطانية موضع التنفيذ، تم الإبلاغ فورا بخطورة الوضع بكل التفاصيل، فاتخذت التدابير اللازمة، من ضمنها إصدار أمر إلى السفارة السنية بعدم قبول مهاجرين من اليهود الأجانب دون أي استثناء. وتم إقناع الحكومة الأمريكية بذلك بصعوبة، وتم الإعلان عن ذلك في الصحف ولم يلق أي اعتراض من أي جهة. كما جاء في فقرة رسمية مندرجة في الصفحة ٤٧٦ من الكتاب المقدم إلى مقام رئاسة دائرة الكتابة بداخل ظرف تحت عنوان" دخول اليهود إلى أرض فلسطين ممنوع" " بأن السفارة السنية بواشنطن أبلغت وزارة الخارجية بمذكرتها المؤرخة في ٩ أيلول سنة ١٨٩٨ بأن قرارا اتخذ بمنع اليهود من دخول أراضي فلسطين، وأن المأمورين العثمانيين تلقوا أوامر بمنع المهاجرين اليهود من

النزول فى البر" . كما أنه على أثر الأمر الوارد بعدم منح تأشيرات على جوازات الأشخاص المشبوهين الراغبين بالسفر إلى تلك الجهات خلال زيارة جلالة الإمبراطور الألمانى إلى جهات فلسطين وسوريا، أبلغت القنصليات التابعة لسفارتنا تعليمات قطعية لتنفيذ هذا الأمر.

وعلى أثر عدم وضع تأشيرات على جوازات كثير من اليهود الراغبين بالسفر إلى فلسطين ، قدم اليهود شكاوى إلى وزارة الخارجية ، وكنت أرد على مذكرة وزير الخارجية بقولى" إن المذكور يهودى ومعلوم لدى معاليكم بأن هجرة اليهود إلى فلسطين ممنوع" وأمنع من وضع تأشيرات على جوازاتهم. فكان يسكت على هذا الجواب. وأخيرا تقدم رجل بطلب تأشيرة للسفر إلى سوريا، فلما رفضنا طلبه قدم شكوى إلى وزير الخارجية الجديد ، فأرسل إلينا مذكرة قال فيها" هذا الرجل ليس يهوديا وليس مشبوها ، بل هو رجل معروف وشهير. لذلك فإنى أرجو منحه التأشيرة" عندئذ أبلغت قنصلية نيويورك بأن يعطوه التأشيرة فورا. حيث كان قول وزير الخارجية" هذا الرجل ليس بيهودى" موافقة وتأييداً من الحكومة الأمريكية للمرة الثالثة لقرارنا سد أبواب أرض فلسطين على اليهود. جاء فى الرسالة التى وردت من دولة

الباشا وزير الخارجية أنه بمناسبة مغادرة جلالة الإمبراطور جهات فلسطين وسوريا ألغى أمر المنع السابق مع الانتباه إلى عدم شمول الإلغاء الأشخاص المشبوهين .

لكن الرسالة لم تتحدث أبدا عن منع دخول اليهود إلى أرض فلسطين.

ومع ذلك فقد أبلغت القنصليات باستمرار سريان منع دخول اليهود أرض فلسطين على النحو السابق. ولكن وزير خارجية هذا البلد قال فى المذكرة التى وردت بالأمس " علمت من السفير الأمريكى بدار السعادة بأن الباشا وزير الخارجية أبلغه بعدم وجود منع خاص باليهود من دخول أرض فلسطين ولكن من غير المناسب سفرهم إلى هناك بصورة جماعية وبغرض الهجرة، وعليه نرجو التفضل بإصدار الأوامر إلى القنصليات لمنح اليهود تأشيرات" تصوروا سيدى مبلغ الحرج الذى أنا فيه الآن. لقد بذلت كل هذه الجهود حتى تحققت النتيجة التى تعتبر نجاحا بكل المقاييس. لكن هذه النتيجة ذهبت الآن ضحية القدرة السياسية البالغة لحضرة الباشا وزير الخارجية. ومع ذلك فقد كان جوابى لوزير الخارجية المستر هى بأننى أنتظر تعليمات من حكومتى فى هذا الشأن. كما أرسلت برقية إلى دولة الباشا تحدثت فيها عما جرى بينه

وبين السفير الأمريكي من حديث وطلبت منه تعليماته برقيا. ورجوته أن يخبرني عن كل محاورة تجرى بينه وبين السفير الأمريكي كي لا أقع في وضع محرج بعد الآن. ولم يردني جوابه منذ خمسة عشر يوما. وعليه فإني أشكو الباشا وزير الخارجية رسميا إلى مقام سيدى ولى النعمة الأعظم. فلا فرق بين قدوم اليهود جماعات كبيرة وبين قدومهم فرادى إذا كان قدومهم لنفس الغرض ، كما أن أى مهاجر لن يقر ويعترف بأنه مهاجر. ومن الطبيعي أن تتولد النتائج الضارة من هذا الرأى الغافل لحضرة الباشا الوزير. فالحلم البراق الذى يتصف به الوزير المذكور يجعله هدفا للإهانات الشفوية والتحريرية للسفراء، وعرضة لقلة أدب الأفاقين الذين يقال لهم مترجمو السفارات ، وبذلك تتعرض كرامة الحكومة السنية للمذلة والمهانة ، وعليه فإني أقترح أن يحضر الحديث بين وزير الخارجية وسفير أى دولة أجنبية مأمور ثالث كى لا تقع مثل هذه المحاذير ، أو يسجل ما جرى بينه وبين السفير من حديث ويبلغ سفيرنا بتلك الدولة برقيا أو في رسالة قوله " لقد قلت لسفير الدولة الفلانية في المسألة الفلانية كذا، وأجاب بكذا" ، راجياً استصدار أمر من مقام مولانا بجعل هذه الطريقة عادة متبعة.

ذكرت في تقريرى رقم ٨٠ وتاريخ ١١ تشرين الأول سنة ١٨٩٨ أن السفير الأمريكى الجديد هو من مروجي ومؤيدى مسألة فلسطين ، وأنه يجب جعل أطواره وحركاته تحت المراقبة الدائمة. وقد ثبت الآن مدى الحاجة لهذه الحيطة أكثر من أى وقت مضى. وإنى أؤكد مرة أخرى بأن السفير المذكور يقوم بنشاطات مضرة شديدة السرية والخطورة في مسألة أرض فلسطين ، وأعتبر الإبلاغ بذلك واجبا وظيفيا. أرجو التفضل بالاطلاع.

ويلاحظ البعض هنا أن فى الوثيقة الاولى بتاريخ ٢٤ كانون الثانى ١٨٩٩

تعليقا على تقرير مرفوع إلى رئاسة الديوان السلطانى من أحد الموظفين الغيورين فى السفارة العثمانية فى واشنطن العثمانى لدى واشنطن – لهجة التحذير العالية والتى تكشف بجلاء عجيب "صورة وطبيعة المرحلة الاولى من المحاولات الصهيونية للاستيطان في فلسطين، وتثبت أن الدولة العثمانية كانت في ذلك الوقت على اطلاع وعلم بما كان يحاك في الخفاء، وأنها كانت على دراية بوجود أفكار ونوايا وتحركات ومخططات مشبوهة، ترمى إلى السيطرة على فلسطين، وتشير بشكل يدعو الى الدهشة والاستغراب إلى وجود رعاية

أمريكية مبكرة لذلك المخطط منذ البداية، وفى تلك المرحلة المبكرة جدا". كانت الأخبار التى كانت ترد تباعا الى الحكومة العثمانية كانت تؤكد وتجمع على قيام اليهود فى ذلك الوقت بمحاولات من أجل جمع الأموال، وتأمين دعم المتنفذين المحليين، وشراء الأراضى، وغير ذلك من التحضيرات والاستعدادات من جهة، وقيامهم بالتوجه إلى جهات فلسطين بصورة سرية، مثنى وثلاث ورباع وأحيانا (مجموعات) بالثلاثين والأربعين من جهة أخرى، بالرغم من استحالة وضع أفكارهم ومخططاتهم فى استملاك تلك البلاد السلطانية موضع التنفيذ.

وتؤكد قراءة الوثائق التركية حينئذ تفهم الحكومة العثمانية لخطورة الوضع بكل تفاصيله، وقيامها على الفور باتخاذ الإجراءات والتدابير الضرورية، والتى كان من ضمنها إصدار التعليمات إلى السفارات العثمانية بعدم قبول مهاجرين من اليهود الأجانب وبدون أى استثناء. ويفهم من سياق هذه الرسالة أيضا أن الحكومة العثمانية كانت تتعرض لأنواع من الضغوط فى هذا الشأن من قبل الحكومة الأمريكية، الامر الذى دفعها إلى محاولة إقناع الحكومة الأمريكية بصعوبة تحقيق ذلك المخطط المرسوم، وأن الحكومة عممت هذا الامر

عن طريق الإعلان فى الصحف، مع التنويه بعدم تلقى أية اعتراضات من أية جهة على قرارها ذلك. بل إن الرسالة الوثيقة المحررة من قبل السفير العثمانى الى أن السفارة العثمانية فى واشنطن التى وجهت فى ٩ أيلول ١٨٩٨ مذكرة إلى وزارة الخارجية الأمريكية تبلغها فيها بالقرار الاحترازى الصادر عن الحكومة العثمانية بمنع اليهود من دخول أراضى فلسطين، وتخبرها أيضا بأن التعليمات والاوامر قد صدرت الى الموظفين والمسؤولين العثمانيين بمنع المهاجرين اليهود من النزول إلى الشواطئ الفلسطينية.

وتبلغ الدقة بالسفير العثمانى كاتب الوثيقة إلى الذروة عند إشارته إلى ورود هذه المعلومات فى فقرة رسمية مندرجة فى الصفحة ٤٧٦ من كتاب (ويمكن من هذا الرقم تخيل حجم هذا الكتاب تبعا لأهمية الموضوع!!!) تم تقديمه إلى الديوان السلطانى داخل مغلف كتب عليه العبارة التالية: "دخول اليهود إلى أرض فلسطين ممنوع" ويشير كاتب الوثيقة سفير الدولة العثمانية لدى واشنطن إلى الزيارة المرتقبة فى ذلك الوقت للإمبراطور الألمانى إلى فلسطين وسوريا، ويتحدث عن التعليمات والاوامر التى وصلت إلى سفارته بخصوصها، والمتعلقة بالإجراءات الاحترازية الواجب اتخاذها فيما يتعلق

بمنع وعدم منح تأشيرات على جوازات الأشخاص المشبوهين الراغبين بالسفر إلى فلسطين وسوريا خلال زيارة الإمبراطور.

ويتحدث السفير عن الإشكاليات التى واجهها حين أبلغ القنصليات التابعة لسفارته بالتعليمات القطعية من أجل تنفيذ هذا الأمر. ونفهم من حديث الكاتب السفير هنا أن عددا كبيرا من اليهود الامريكيين كانا يتقدمون إلى السفارة والقنصليات العثمانية فى ذلك الوقت من أجل الحصول على تأشيرات سفر إلى فلسطين، وأنهم كانوا يعدون العدة للتوجه الى هناك لغايات الاستيطان، وأنهم تأثروا بقرار المنع هذا، الأمر الذى دفعهم الى الاحتجاج والشكوى لدى وزارة الخارجية الامريكية، من أجل دفعها الى الضغط على الحكومة العثمانية والقيام بتحرك ضد هذا القرار ، ويبين السفير العثمانى كيف أن وزارة الخارجية الامريكية لم تكن تستطيع فعل شيء حيال هذه الشكاوى، وأنها كانت تكف عن إلحاحها حين كان يواجهها بقرار الحكومة العثمانية المتعلق بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وعدم إمكانية إصدار تأشيرات سفر لهم ، وتتجلى حنكة السفير العثمانى كاتب الوثيقة وما يتمتع به من ذكاء ودهاء وفطنة، من خلال حديثه عن المواطن

الأمـــريكى الذى رفض طلبـــه، ثم توسطت من أجله وزارة الخارجية الأمريكية كونه لم يكن من اليهود أو من المشبوهين. حيث قام هذا السفير بالاستجابة فورا لذلك الطلب، وأصدر تعليماته إلى القنصلية العثمانية فى نيويورك من أجل منح المواطن الأمريكى المذكور التأشيرة المطلوبة وبدون إبطاء. ويكشف السفير العثمانى الذكى عن سبب تصرفه ذلك، مبينا أنه كان يرى فى هذه الحادثة اعترافا وموافقة وتأييدا من قبل الحكومة الأمريكية لقرار الحكومة العثمانية حول سد أبواب أرض فلسطين على اليهود، وأنه أراد تثبيت ذلك بشكل عملى، ويبدى هذا السفير العثمانى الغيور امتعاضه من تصرف وزير الخارجية العثمانية الذى قام فور انتهاء زيارة الإمبراطور الألمانى إلى فلسطين وسوريا، بإصدار تعليماته الى السفارات والقنصليات العثمانية فى العالم بالغاء قرار المنع السابق، مع اقتصار المنع على الأشخاص المشبوهين فقط.. ويبدى الكاتب السفير استغرابه واستهجانه لخلو تعليمات وزير الخارجية العثمانى وبصورة قطعية من الإشارة الى منع دخول اليهود إلى أرض فلسطين .

ويبين كذلك أنه وبالرغم من هذا التجاهل المريب، فقد قام كسفير للدولة العثمانية بإصدار تأكيداته إلى القنصليات

التابعة له باستمرار سريان منع دخول اليهود أرض فلسطين على النحو السابق.من جهة أخرى، يبدو أن الحكومة الامريكية المتابعة لهذا الأمر قد انتبهت للفجوة المريبة في قرار وزير الخارجية العثمانية المذكور، حيث نفهم من السياق أن السفير الامريكي في العاصمة العثمانية ، الغيور على المصالح اليهودية، قد قام بالاتصال مع وزير الخارجية العثمانية المذكور، وحصل منه على تأكيدات بعدم وجود منع خاص باليهود يمنعهم من دخول أرض فلسطين، وأن التحفظ هو فقط على ذهابهم إلى هناك بشكل جماعي ولأغراض الهجرة والاستيطان .

وبعد قيام السفير الأمريكي بنقل هذه المعلومات إلى وزير الخارجية الأمريكي، سارع الأخير بإرسال مذكرة عاجلة (وردت بالأمس) إلى كاتب هذه الوثيقة السفير العثماني لدى واشنطن يقول فيها ما نصه:"علمت من السفير الأمريكي بدار السعادة (اسطنبول) بأن الباشا وزير الخارجية أبلغه بعدم وجود منع خاص باليهود من دخول أرض فلسطين ولكن من غير المناسب سفرهم إلى هناك بصورة جماعية وبغرض الهجرة، وعليه نرجو التفضل بإصدار الأوامر إلى القنصليات لمنح اليهود تأشيرات" ويبدو أن وزير الخارجية العثمانية

العتيد لم يحذ حذو السفير الأمريكي، ولم يكلف خاطره باطلاع سفيره في واشنطن على ما دار بينه وبين السفير الأمريكي من حوار، إذ ان السفير العثماني يعبر في رسالته هذه وبمرارة عن مدى شعوره بالحرج والإحباط نتيجة الاهمال والتصرف الأرعن وغير المسؤول الذي قام به وزير الخارجية العثماني.

وهو يعبر كذلك بشكل مؤثر عن مدى أساه واحباطه لضياع كل الجهود المبذولة حتى تلك اللحظة لدى الادارة الامريكية، والتي كانت تعتبر (نجاحا بكل المقاييس) على حد تعبيره. ويضيف بشيء من التهكم والسخرية المؤلمة إن النتائج التي استطاع تحقيقها بشق الانفس قد طارت كلها في لحظة واحدة نتيجة التصرف الأحمق (القدرة السياسية البالغة!!!) لحضرة الباشا وزير الخارجية ، ويواصل هذا السفير الوطني المحنك رسالته بالحديث عن تماسكه أمام هذه الصدمة، وعن قيامه بإبلاغ الوزير الامريكي عن انتظاره للتعليمات من حكومته في هذا الشأن. وأنه أرسل برقية الى وزير خارجيته يبلغه فيها عما جرى بينه وبين السفير الأمريكي، طالبا تعليماته السريعة البرقية في هذا الخصوص. ومؤكدا على ضرورة وضعه في صورة الحوارات التي قد تجري بين الوزير

العثماني والسفير الأمريكي من الآن فصاعدا، منعا لأية إحراجات في المستقبل، ويبدو أن تجاهل الوزير العثماني واهماله للرد على تلك البرقية مدة تجاوزت الاسبوعين كان الشعرة التي قصمت ظهر البعير، الامر الذي دفع بالسفير العثماني الى تقديم هذه الرسالة بشكل مباشر إلى السلطان العثماني، مشتكيا بصورة رسمية من وزير الخارجية العثماني وتصرفاته المشبوهة، ومنوها برأيه وقناعاته السياسية بقوله : (فلا فرق بين قدوم اليهود جماعات كبيرة وبين قدومهم فرادى إذا كان قدومهم لنفس الغرض ، كما أن أي مهاجر لن يقر ويعترف بأنه مهاجر. ومن الطبيعي أن تتولد النتائج الضارة من هذا الرأي الغافل لحضرة الباشا الوزير).

ويواصل السفير العثماني الغيور انتقاداته لوزير الخارجية العثماني ولتصريحاته العشوائية، مبينا أن تلك التصرفات جعلت الوزير عرضة للانتقادات الشفوية والتحريرية للسفراء العثمانيين، بل إنها جعلت منه مثار سخرية وتندر لبعض مترجمي السفارات، الامر الذي يمس بكرامة الحكومة العثمانية ويعرضها للمذلة والمهانة، ولا ينسى الكاتب السفير أن يقترح الحلول للحيلولة دون تكرر هذه المأساة في المستقبل، فيوصي بأن يحضر الحديث بين وزير الخارجية

وسفير أي دولة أجنبية موظف ثالث، ويوجه الدعوة لتسجيل ما يجرى بين الوزير والسفراء من أحاديث، ويتحدث عن ضرورة إبلاغ المعلومات التى يتم تسجيلها إلى السفراء العثمانيين المعنيين في الدول المعنية بشكل برقى أو بالبريد. ويطالب باستصدار أمر من السلطان بجعل هذا الاسلوب عادة متبعة ، وفى نهاية هذه الوثيقة الهامة يشير السفير العثمانى لدى واشنطن إلى تقريره رقم ٨٠ تاريخ ١١ تشرين الأول ١٨٩٨ الذى كشف فيه بصراحة عن التوجهات الصهيونية للسفير الأمريكى الجديد لدى الدولة العثمانية، وكيف أنه من المتحمسين والمروجين والمؤيدين للمخطط الصهيونى المرسوم من أجل تهويد فلسطين، وأنه يقوم بنشاطات مضرة شديدة السرية والخطورة في مسألة أرض فلسطين، ويشدد السفير العثمانى فى نهاية رسالته على ضرورة وضع تصرفات وتحركات ذلك السفير الامريكى فى اسطنبول تحت المراقبة الدائمة، ويدعو إلى أخذ الحيطة والحذر منه أكثر من أى وقت مضى...!!! وهوما يتردد بشكل أعنف فى العديد من الرسائل والوثائق العثمانية الاخرى كما سنرى فى الوثائق المرفقة أو حتى القراءات الاولية لها فى العديدمن الكتابات والمواقع الالكترونية المعاصرة لنا ..

والآن : هل نحن بعد هذه الوثيقة فى حاجة لنبرر موقف امريكا الآن، آو نحاول فهمه ، على اية حال، يمكن فهمه جيدا جدا، إذا مضينا بعد هذا التاريخ الى هذه الاشارات التى يؤكدها لنا التاريخ عن مسلسل التدخل العسكرى المستمر الوقح منها (وأعتذر عن ايراد احداث نعرفها جميعا..) منها:

فى عام ١٨٢٣ قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراجوا وفى عام ١٨٣٥ دخلت هذه القوات إلى بيرو

وفى عام ١٨٤٦ احتلت القوات الأمريكية أرضا طالبت بها المكسيك وهى ما تعرف الآن بولاية تكساس وبهذا أثيرت الحرب المكسيكية .

وفى أعقاب انتصار سنة ١٨٤٨ ضمت الولايات المتحدة تلك الأرض بالإضافة إلى كاليفورنيا ونيومكسيكو.

وفى عام ١٨٥٤ دمر المارينز الأمريكى ميناء جراى تاون فى نيكاراجوا انتقاما من إبعاد الوزير الأمريكى الذى كان فى تلك البلاد .

وبعد ذلك بعام غزت القوات الأمريكية أورجواى ثم قامت بغزو قناة بنما .

وفى عام ١٨٥٧ تدخلت القوات الأمريكية فى نيكاراجوا لإفشال محاولات وليم روكزوهو مغامر من تنيسى

الحفظ رقم ٢٤٧ عابدين

ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٤ بتاريخ ٩ ربيع الاول ١٢٤٩

من محمد منيب افندي نائب دولة الباشا السرعسكر الى سامي بك

سيدي صاحب الدولة والعاطفة الولي الحكيم والسامي الشيم

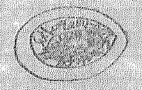
علمت مضمون الارشادات الصادر بتاريخ ١٩ صفر ١٢٤٩ الذي جاء فيه ان الجناب العالي تفضل وعلم من العريضة المقدمة من أهالي القدس ان وكيل القنصل الامريكي اراد ان يقيم في يافا وبعده يأتي في القدس ويرفع العلم الامريكي ولكن الاهالي ما رضوا لعدم وقوعه من قديم الزمان فلم يسمحوا له برفع العلم وانه لا يأتي وكيل القنصل السالف الذكر رجلا خليطا الاوربيين فاذا اراد في المستقبل ان يرفعه او يعمل شيئا آخر يخالف الاوربيين يأتي الى المسلمين ليوعز الى الاهلين بطرده من البلد.

واني قد علمت الارادة السامية أتشرف بافادتكم انه بناء على وقوع سفر الى القدس في مهمة قد علمت ما يجري في الشام مضمون الارادة بيانا واني افدته شفويا

سلا

[illegible] ١٩٩٢ [illegible]

[illegible]



مرجعنا

لقد احتفظ خليفة ابن سيدنا داود عليه صلوات الله المعبود

المعظم حضرة السيد مصطفى الخالدي القاضي بمقتضى شريف حبر القدس الجليل

الموضوع: الشكر وإعلام دولة الحبر [illegible] لعالم [illegible] المبارك [illegible] القدس الشريف سابقا [illegible]

الحمد لله الذي منّ علينا بوجود العظماء الأجلاء المقربين من عند الله تعالى بالعلم والصلاح وأنا أصبح [illegible] البيت المقدس [illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد [illegible] من البيت الحرام إلى القدس الأقصى [illegible] وعلى آله وأصحابه سيما الخلفاء الراشدين والتابعين [illegible] تسليما كثيرا [illegible] بيت المقدس [illegible] على [illegible] [illegible] أنهم لم يزالوا [illegible] وعلى ما [illegible] من أداء [illegible] والتوسلات القلبية [illegible] التي لم [illegible] الرجال [illegible] [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] الذات [illegible] [illegible] أسعد [illegible] الشريف [illegible] الواجب [illegible] والتعظيم [illegible] العالي [illegible] [illegible] [illegible] الشريفة [illegible] [illegible] والعناية [illegible] [illegible] [illegible]

وكانت [illegible] دعوا لهم [illegible] لدى [illegible] [illegible] السيد الرفيع [illegible]
والكل أجابوا بالسمع والطاعة إذ [illegible] القدس [illegible] الله [illegible]
ما عليكم [illegible] [illegible] وطاعتهم في أداء [illegible]
لحضرة صاحب السعادة [illegible] الأعظم [illegible] الإسلام [illegible]
والمقام [illegible] سبحانه [illegible] النصر العظيم والعز
الأكيد [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في القدس [illegible] [illegible]
[illegible] في القدس [illegible] القدس [illegible]
[illegible] [illegible] القدس [illegible]
ما [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] بيت الله المقدس [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الله [illegible]
[illegible] [illegible] والسلام

العبد الداعي بدوام دولتكم العلية
[illegible]
بالمسجد الأقصى الشريف

العبد الداعي بدوام دولتكم العلية
عبد [illegible] الخطيب
بالمسجد الأقصى الشريف

العبد الداعي بدوام دولتكم العلية
[illegible]

العبد الداعي بدوام دولتكم العلية
[illegible] الخليل
[illegible]

العبد الداعي بدوام دولتكم العلية
[illegible]
[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم العلية
الحاج احمد الطيب [illegible]

[illegible]

الداعي بدوام دولة الحكم العلية
ابو [illegible] احمد [illegible]
[illegible] خادم سيف الخليل

[illegible]

الداعي [illegible] بدوام
دولة الحكم العلية [illegible]
[illegible] الحاج علي خادم سيدنا
موسى الكليم

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
العلية [illegible]
[illegible] الحرم [illegible]
عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي للدولة العلية
[illegible]
السيد [illegible] الشريف عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي للدولة العلية
[illegible] شيخ الحرم
الشريف عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible]
[illegible] عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
صالح [illegible]
الحرم الشريف عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي لدوام الحكم العلية
مصطفى [illegible]
الحرم الشريف [illegible]
عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible] الحسيني [illegible]
[illegible] القدس الشريف
عفي عنه

[illegible]

الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible] خادم
سيدنا داود عليه
الصلاة والسلام عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible]
[illegible]
[illegible] عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible] خليل [illegible] احمد
[illegible] عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم احمد
[illegible] الحسيني [illegible]
الشريف عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible]
الشريف محمد عفي عنه

العبد الداعي بدوام دولة الحكم احمد
[illegible]
[illegible] عفي عنه

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
[illegible] خادم سيدنا داود
عليه الصلاة والسلام عفي عنه

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم العلية
السيد محمد طاهر [illegible] احمد
[illegible] الشريف [illegible]

[illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم
احمد [illegible] خادم سيدنا [illegible]

العبد الداعي بدوام دولة الحكم [illegible]
[illegible] شيخ الحرم [illegible] الشريف عفي عنه

العبد الداعي بدوام دولتكم
العلي نجم الدين الجاعوني(?)
الخطيب بالمسجد
الأقصى عفي عنه

(ختم: نجم الدين ...)

العبد الداعي لدولتكم
ابراهيم الشهابي(?)
أحد المدرسين بالصخرة
المشرفة عفي عنه
آمين

(ختم)

العبد الداعي لدولتكم
العلي محمد عفيفي
أحد الأئمة بالمسجد
الشريف عفي عنه

(ختم: السيد محمد عفيفي)

حضرة الماجد والأكارم كاتب ديواننا محمد نجيب افندي المكرم
بأن ورد لنا الآن المحضر الموضح من أهالي القدس الشريف متضمنا
مقولة رفع بدعة الشيركات(?) فالمراد بعد اطلاعكم على معناه ما لا عرضوا
من طرفكم إلى وكيل القونسلوس المذكور وتطلبوا منه الأمر الشريف
الخديوي فإنه كان موضحا به أن القونسلوس المذكور يرفع بدعه
بالقدس الشريف مقررا من طرفكم لأهالي القدس أنه لزم الاستعلام عنه(?)
إذا رفع بدعته وأنه كان الأمر الشريف الخديوي غير موضح بذلك
فتحرروا من طرفكم تحريرا إلى حضرة الأمير الأكرم ذو [illegible] الأمجد
والاحترام محمد سامي بك وتوضحوا صورة هذا المحضر لكي بموجبه
معناه بالأعتاب الشريفة الخديوية وكما يصدر الأمر العالي يعمل بموجبه
لهذا ما لزم إفادتكم به
في ٤ صفر ١٢٤٩

(ختم: علي ابراهيم(?))

حاول تولى السلطة فى نيكارجوا ، قامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا عام ١٨٧٣ بعدة إنزالات عسكرية تتابعت فى الأعوام ١٨٨٥ و١٨٩١ و١٨٩٢ و١٨٩٣ و١٨٩٨ و١٨٩٩ وفى عام ١٨٨٨ تدخلت القوات الأمريكية فى هايتى ، وفى عام ١٨٩١ فى تشيلى .

* وفى عام ١٨٩٤ تدخلت القوات الأمريكية مرة أخرى فى نيكاراجوا ، وفى عام ١٨٩٨ كانت الحرب الأمريكية الإسبانية حيث افتعلت الولايات المتحدة حادثة كوبا وقد حاصر على أثرها الأسطول الأمريكى الموانئ الكوبية بينما قام الجيش والمتطوعون بما فيهم تيودور روزفلت بسحق القوات الإسبانية على الشواطئ ، وبعد ثلاثة أعوام جعلت الولايات المتحدة من كوبا وكرا أمريكيا للقمار كما ضمنت الحق فى قاعدة بحرية فى خليج جوانتانامو ومازالت تحتفظ بها حتى الوقت الحاضر.

وفى عام ١٩٠١ و١٩٠٢ تدخلت القوات الأمريكية فى كولومبيا .

وفى ١٩٠٢ تدخلت فى هندوراس ، وفى ١٩٠٦ خلال الحرب الأهلية فى كوبا انتظمت القوات الأمريكية فى جيش التهدئة الكوبية لاستعادة النظام وإقامة حكومة مستقلة خلال ثلاث سنوات .

وفى عام ١٩٠٧ تدخلت القوات الأمريكية واستولت على ست مدن فى هندوراس .

وفى عام ١٩١٤ دخل المارينز الأمريكيون إلى هايتى فى عملية إنزال حيث سرقوا البنك المركزى استردادا لأحد الديون .

وبعد سنة واحدة أى فى عام ١٩١٥ دخلت القوات الأمريكية إلى هايتى واحتلت البلاد حتى ١٩٣٤.

وفى عام ١٩١٤ أمر الرئيس ولسون بحريته بقصف واحتلال فيركروز .

وفى عام ١٩١٦ وبعد غارات مكسيكية على الأراضى الأمريكية أرسلت قوة بقيادة بيرشنج حيث دخلت المكسيك لمطاردة زعيم الثوار بانكوفيلا .

وفى عام ١٩١٦ تدفقت القوات الأمريكية إلى الدومينكان لتهزم الثوار وتسيطر على البلاد بحكومة عسكرية حتى عام ١٩٢٤.

وفى عام ١٩٣٢ تدخلت القوات الأمريكية فى السلفادور بمساعدة السفن الكندية .

وفى عام ١٩٥٤ أطاحت الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة جواتيمالا .

وفى عام ١٩٦١ غزت أمريكا خليج الخنازير فى كوبا بواسطة جيش من المبعدين الذين تبنتهم وانتهى هذا الغزو بالفشل .

وفى عام ١٩٦٢ فرض الرئيس كنيدى حصارا جويا وبحريا على كوبا لإجبار السوفييت على إبعاد صواريخهم الذرية من الجزيرة .

وفى عام ١٩٦٧ ساعدت المخابرات المركزية الأمريكية سى .آى .إيه عسكر بوليفيا على جيفارا فى بوليفيا ، وفى هذه الأثناء كانت هناك تدخلات أمريكية فى فيتنام وكوريا .

وفى عام ١٩٦٧ أمدت الولايات المتحدة الأمريكية الكيان الصهيونى بالمال والعتاد والأسلحة ونتج عن ذلك هزيمة العرب فى نكسة ١٩٦٧ .

وفى عام ١٩٧٣ زعزعت الولايات المتحدة الأمريكية الاستقرار فى تشيلى مما هيأ الطريق أمام قيام دكتاتورية عسكرية ، وفى نفس العام تدخلت الولايات المتحدة عن طريق وزير خارجيتها هنري كيسنجر وأوقفت مد النصر العربى فى حرب العاشر من رمضان.

وفى إبريل ١٩٨٠ قامت قوات كوماندوز أمريكية فى مهمة لإنقاذ ٥٣ أمريكيا محتجزين فى السفارة الأمريكية بطهران تفقد فى الصحراء، ومقتل ثمانية أمريكيين فى حادث اصطدام طائرة هليكوبتر بطائرة حاملة للدبابات .

وفى عام ١٩٨١ و١٩٨٢ بدأت امريكا بتعزيز أساطيلها العسكرية فى الخليج ونشر الصواريخ فى أوروبا.

وفى أكتوبر ١٩٨٣: انفجار سيارة ملغومة فى ثكنات قوات المارينز الأمريكية التى أرسلها الرئيس رونالد

ريجان إلى بيروت كجزء من قوات دولية لحفظ السلام. ومقتل ٢٤١ من المارينز والبحارة فى الهجوم الأمر الذى أدى لانسحاب القوات الأمريكية من العملية.

وفى أكتوبر ١٩٨٣ تم انفجار سيارة ملغومة فى ثكنات قوات المارينز الأمريكية التى أرسلها الرئيس رونالد ريجان إلى بيروت كجزء من قوات دولية لحفظ السلام. ومقتل ٢٤١ من المارينز والبحارة فى الهجوم الأمر الذى أدى لانسحاب القوات الأمريكية من العملية.

وفى إبريل ١٩٨٦: قامت القوات الأمريكية بمهاجمة قواعد ساحلية في ليبيا انتقامامما يزعم أنها هجمات إرهابية دبرتها ليبيا ضد أهداف أمريكية. ومقتل طيارين أمريكيين بعد إسقاط البطاريات الليبية لطائرتهما من طراز اف ١١١ بى .

وفى ديسمبر ١٩٨٩ أمر الرئيس جورج بوش بشن ضربة أمريكية على بنما لمساندة القوات الأمريكية التى تتخذ من بنما مقرا لها فى محاولة للإطاحة بالزعيم البنمى الجنرال مانويل نورييجا واعتقاله. واعتقل نورييجا بالفعل فى يناير كانون الثانى ١٩٩٠ وسجن فى الولايات المتحدة بتهم تتعلق بالمخدرات .

وفى أغسطس ١٩٩٠ أمر الرئيس جورج بوش الأب بحشد عسكرى للقوات الأمريكية فى السعودية بعد غزو العراق للكويت وضمه لها . وبوش يأمر القوات بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التى تطالب القوات العراقية بالانسحاب غير المشروط من الكويت .

فى يناير ١٩٩١ حشدت الولايات المتحدة ٥٢٧ ألفا من القوات فى الخليج وبدأ الائتلاف الدولى بقيادة أمريكا حملة قصف مكثف للعراق. ولا تزال الطائرات الأمريكية والبريطانية تشن طلعات جوية على شمال العراق وجنوبه للتأكد من تنفيذ حظر الطيران الذى فرضته الدولتان على المناطق الكردية فى شمال العراق والمناطق الشيعية فى جنوبه. وتشن الطائرات الغربية بعض الهجمات أحيانا على هذه المناطق .

وفى يوليو ١٩٩٢: واشنطن توافق باعتبارها عضواً فى حلف شمال الأطلسى على استخدام قواتها البحرية فى البحر الادرياتيكى أثناء حرب البوسنة لمراقبة تنفيذ العقوبات الدولية المفروضة على جمهوريتى الصرب والجبل الأسود .

وفى إبريل ١٩٩٣ بدأ حلف شمال الأطلسى دوريات قتال لتنفيذ الحظر المفروض من الأمم المتحدة على الرحلات الجوية.

وفى عام ١٩٩٢-١٩٩٤: الولايات المتحدة ترسل ما يصل إلى ثمانية وعشرين ألفا من قواتها إلى الصومال فى إطار مهمة إنسانية فى الصومال، ومقتل ثمانية عشر فردا من القوات الأمريكية .

فى أكتوبر تشرين الأول ١٩٩٣ يدفع أمريكا لسحب قواتها فى أوائل عام ١٩٩٤ . وفى سبتمبر ١٩٩٤: قوات متعددة الجنسيات تقودها الولايات المتحدة تحتل هايتى لاستعادة الديمقراطية .. والقادة الأمريكيون يسلمون قيادة البلاد للأمم المتحدة فى يناير كانون الثانى ١٩٩٥ .

وفى فبراير ١٩٩٤- سبتمبر ١٩٩٥: الولايات المتحدة، باعتبارها عضواً فى حلف شمال الأطلسى، تشارك فى شن هجمات جوية على القوات الصربية .

وفى أغسطس ١٩٩٨: الولايات المتحدة تشن هجمات بصواريخ كروز على أهداف فى أفغانستان وعلى مصنع للدواء فى السودان قائلة إن لها علاقة بهجمتين تفجيريتين استهدفتا سفارتى أمريكا فى كينيا وتنزانيا وأسفرتا عن مقتل أكثر من مائتى شخص .

وفى الرابع والعشرين من مارس ١٩٩٩ : الطائرات والسفن الأمريكية تقود قوات حلف شمال الأطلسى فى شن هجمات جوية على جمهورية الصرب لإرغام بلجراد على الموافقة على خطة سلام دولية لإنهاء الحرب فى كوسوفو.

والحملة تنتهى فى العاشر من يونيو حزيران بعد بدء انسحاب القوات الصربية من كوسوفو والسماح لقوات حفظ السلام التابعة لحلف شمال الأطلسى بدخول الإقليم .

وفى السابع من أكتوبر ٢٠٠١: الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان أول هجمات جوية ضد أفغانستان، والرئيس الأمريكى جورج بوش يقول إن العملية هى بداية لحملة مستمرة وشاملة ضد الإرهاب فى أعقاب الهجمات الإرهابية على واشنطن ونيويورك في الحادى عشر من سبتمبر أيلول والتي أسفرت عن مقتل أكثر من خمسة آلاف شخص .

وبعد، هل نحن فى حاجة للعود لعصر محمد على لنؤكد على وقاحة "الامبريالية" وشراستها ..؟

ومع ذلك ورغم ذلك يبقى التأمل فى هذا الاستطلاع الذى أجراه موقع (ياتا) ونتركه بدون تعقيب:

ما هو شعورك تجاه الولايات المتحدة الأمريكية ؟

تتوالى الاجابات على الويب أن :

أحبها أوى ١٣.٥٪

لا أشعر تجاهها بشيء ١٢.٥٪

أكرهها ١٥.٣٨٪

أمقتها ٢٩ ٧٤.٢٦٪

(٤)

مشاهد: الكتاب/الكتبة

(١)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أخوف ما أخاف على أمتي رجل منافق عليم اللسان؛ غير حكيم القلب يغريهم بفصاحته وبيانه ، ويضلهم بجهله «فجر ٢ إبريل٢٠٠٧ ».

ها هي الساعة تصل الى الرابعة صباحا ، قضيت وقتا طويلا للتعرف على بعض الأشياء في الكمبيوتر الشخصي الذى استطعت الحصول عليه قبل امس ، كان نوع الكومبيوتر الجديد،Fujitsu Siemens Computers وانا الآن استبدل بالكمبيوتر الشخصي السابق I B00k اهذا الجهاز الجديد ؛ ورغم انه لا فارق كبيراً بين هذا الجهاز أوذاك ، فانني اقضي كل يوم فترة لاستوعب آلية هذا الجهاز الجديد ، قاومت منذ ايام ان اكتب ..

كان ماحدث اخيرا يدعو الى الالم ، وقبل هذا يدعو الى زيادة قناعتى بغياب دور المثقف الحقيقى ، الذى اصبح الآن كما عرفته بشكل خاص عبر سنوات اقترابى من الحياة الثقافية، او اقترابى منذ سنوات أربع من مثقفى اتحاد الكتاب حين كنت لسنوات (فى مجلس الإدارة) ثم وأنا اتابع ما حدث هذه الأيام، هذ المثقف الذى كان يدفع بيديه بعنف- ليحلف بأغلظ الأيمان بانه سينتخب هذا وهذا وهؤلاء مما هو موضوع فى (القائمة) .. حتى إذا ماخلا الى شيطانه من بنى الانس او الجن ارتد على عقبيه ، عرفت و رأيت ممارسات قبيحه يغلب عليها الخداع والغبن والانتهازية ، دفع هذا كله بى أن امضى لخارج مكان الانتخاب بعد ساعة فقط من اجراء العملية .. الانتخابية لأهرول بعيدا حزينا واجما .

عرفت هذا المثقف الخائن فى انتخابات اتحاد الكتاب او نقابة الصحفيين .

فزعت ان تصل ارادة الناخب المثقف الى هذا الدرك .

وفزعت من شكل القوائم وطوائف الشلل وأعداد المستفيدين ماديا او عضويا .. أقول ، لم استطع ان اقاوم الاستمرار امام الناخبين – مثل كل من جاء لينتخب او ينتخب الآن –.. كان المفروض ان يبدأ التصويت الواحدة

ظهرا وينتهى فى الخامسة ، لكننى لم استطع ان اشهد كل هذه المهازل التى يقوم بها الكاتب او مايسمى بالكاتب او مايعرف باحد "الكتبة" ليحصل على عدد كبير من الاصوات لنفسه ، ثم ليحصد عددا كبيرا لمن معه فى (الشلة) التى تعد باحكام هذه القوائم .ثم يروح ليجنى فعلته او مؤامرته الرخيصة لسنوات بعد ذلك ..

كان لدى فكرة عما يمكن ان يحدث ، غير ان ما رأيته الآن أفزعنى ، لم استطع المقاومة ، حملت اوراقى ولما تمض ساعة على الانتخابات النصفية لمجلس الادارة لاتحاد الكتاب ، فزعت وخرجت امضى من (مسرح السلام) حيث كان يتم التصويت المخادع المرائى الى شارع قصر العينى ، ومضيت حزينا واجما لأقطع هذه المسافة من مكان الانتخاب بالمسرح الى ميدان التحرير ..

حزنت جدا (لحال) مثقفى مصر..

هاهم يقومون بأشياء كثيرة لم أستطع استيعابها ، واذا كان مثل هذا او قريب منه يحدث هذه الايام فى قضية (تعديلات،الدستور) وسيحدث بعد قليل فى انتخابات الصحفيين .. وما الى ذلك ، وهو ما حدث وسيحدث بالفعل ، إذن ، فإن رهاننا على الكاتب اصيب بخسران مريع ، لم اجد

امامى هذا الكاتب الذى يقبع فى داخلى فى هذا النموذج الواعي الشريف ، وانما وجدت طرازا مهينا آخر يستخدم كل شيء في (اتحاد الكتاب هنا) او الاتحادات او النقابات او حتى المجالس النيابية ويحدث فيها مايحدث لتكون النتيجة ، نتيجة الانتخابات فى مجتمع تتشدق فيه وسائل الاعلام ورموز رجال الاعمال وقبلهم النخبة السياسية .

اقول يتشدق هؤلاء جميعا بمساحة الديمقراطية التى نشهدها فى بدايات الالفية الثانية ، فى حين ان الامر لم يزد على هذا الشكل الهزيل الذى يحدث هنا او هناك ، بعيدا عن القيم الدينية التى نعرفها والقواعد التى نرددها حول الديمقراطية ، حزنت مما هز يقينى بأن ثمة املا لابد ان يجيء ، هو لن يجيء ، وأن الظلام الدامس ورموزه فى هيئاتنا الثقافية او السياسية لن يلبث أن يزول .. لن يكون هذا ابدا ..

واذا كنا تعودنا على مايحدث لنا وللحركة الديمقراطية عبر المجالس النيابية او الصحفية .. وما اكثرها ، فقد كان لدى النموذج الايجابى لمثقفى هذا الزمان ..

أى مثقف هذا ..؟ تذكرت كتاباتى السابقة بالأهرام عما ينتظر من اتحاد الكتاب ..

استدعيت ما كتبته الايام الماضية..

بدأت فى استعادة ما كتبته، وها انا اطرح بعضه هنا قبل ان نصل الى مــهــزلة هذه الانتــخــابات الجــديدة ..عــدت أستـعيد...عدت أتجرع مـا عرفتـه من قبل لمرات ، وماسوف اعرفه ، من بعد لمرات ..

عدت استعيد المشهد .. وأعيد الشهادة ..

مشهد (١)

دهشت ، وأنـا اشـارك فى احـدى الندوات عن اتحـادات الكتاب ومبعث دهشتى يعود الى ان اغلب المشاركين ، خاصة فى القـاعـة ، جـاء حـول ضـرورة توفـيـر الخـدمات للسـادة الاعضـاء بما فيـها مـن قضـيـة التـأمين والعـلاج ودعم الفروع. والمشروع العـلاجى.... ومـا إلـى ذلك من الخـدمـات التـى يجب ان يقدمها الاتحـاد – أى اتحـاد– او النقـابة – أية نقابة – الى المشتركين فيها ، دون الإشارة فيما فعله ، او الإفادة بمايجب ان يفعله عضو مجلس الإدارة فى حالة اعادة انتخابه ..

و الغــريب انه مـضـت السـاعــات ولم يخـرج السـادة المرشـحـون والمسئولون – عن التـأكـيد على مطالب الجمعـية

العمومية !! ومضت الساعات بهذا التجمع من الكتاب والمثقفين دون ان نتنبه الى أن الانسان العربي واع اشد الوعي بما يجب ان يفعله المرشح وما يريده .

والواقع أن الدور الذى يجب ان يقوم به الكاتب أو المثقف لا يتوقف عند الخدمات والتكافل .. وما الى ذلك ، فكل ذلك مطلوب وهو فرض (عين) لا نقاش فيه، غير ان المطلوب اكثر هو وعى هذا المثقف او المرشح لحاضر امتنا والمستقبل الذى نعمل له ..

الخدمات لصالح النقابة أو المجلس فرض (عين) ، ويجب ان ننطلق منها الى مصيرنا الذى يدفع بنا عبر هذه (الفوضى الخلاقة) التى يتحدثون عنها كثيرا

إن دور الكاتب فى هذه الظروف الصعبة التى تعيشها امتنا فى شتى الميادين يتجاوز الكائن الى مايجب ان يكون ، وأول الفروض فى هذا هو التمهل عند دور هذا المثقف الحاضر الغائب ، هذا المثقف الذى لا نسمع صوته العالى أو الإعلان عن جهوده الكبيرة فى الخدمات والمشروعات ، اللهم إلا فى هذه الفترات التى تسبق الانتخابات ، ولا نسمع صوته العالى اللهم الا حين يضرب على وتر الحاجة ، هو الشىء الوحيد الذى يجب ان نتنبه له ، فى حين ان الدور الحقيقى

للكاتب هو دورمستمر، وليس هذه "البروباجندا" التى تبدأ وتنتهى فى الغالب عند انتهاء دورة التجمعات او الانتخابات لينتهى كل شيء عند انتهاء الانتخاب او المناسبة التى تواجد فيها.....

.... إن الكاتب فى هذه الانتخابات النصفيه .. الآن ، أو أى انتخابات فيمابعد - يجب ان يعى تماما ان المشارك فى الانتخاب او التجمعات الايجابية فى (جمعية عمومية) هذا المشارك سواء الكاتب او الإنسان ، يستوعب كل ذلك ويعمل له، والقياس يظل دائما حقيقة هذا الكاتب ، والدور الحقيقى الذى يقوم به ، الدور وليس الكلام الذى يخفت ويتلاشى حين تنتهى المناسبة ..

إننا نتحدث هذه الأيام كثيرا عن المادة ٦٧ ، دون ان نتنبه ونحن مقبلون على الانتخابات النصفية إننا يجب ان نعى الدور الحقيقى لهذا الاتحاد ، ليس فى الخدمات وحسب - فهذه أمور لابد منها والتمهل عندها ، ولكن يجب ان نسأل ايضا : هل يملك هذا المرشح - أو ذاك - من الوعى بأن يدرك حقا اننا مقبلون على مرحلة مهمة فى حياتنا يجب ان نتنبه اليها سواء على مستوى القيادة داخل هذا الاتحاد او تلك النقابة .

وهي المرحلة التى تحتاج وعيا فائقا بما نعيش فيه ، وهو يعتمد الى حد كبير على وعى هذا المرشح - على جميع مستويات الترشيح - سواء فى تلبية المشاريع الداخلية - وهذه مهمة الى حد كبير - ثم تلبية طموح اعضاء الجمعية العمومية أبعد من ذلك ، حين يصبح الاتحاد فاعلا هل يتبنى القضايا السياسية الفاعلة في وطننا وهو ما يطرح علينا أسئلة بدهية ...

● هل يمكن ان يعقد حواراً مستمرا بين المجلس الذى ينتمى اليه (اذا كان عضوا فى المجلس) ورموز الجمعية العمومية التى تمثل جموع الكتاب والمثقفين الواعين بما يحدث حولنا جيدا ؟

هل هناك - حقا - حلقة اتصال من هذا الكاتب ومن يمثلهم ..؟

● هل ينتبه هذا الكاتب الى ألوان الطيف التى ستكون فى هذا المجلس المنتخب أو ذاك ؛ وقد عرفت وشهدت على المستوى الشخصى فى عديد من اجتماعات المجلس خلافات وهمية يغيب فيها السادة المنتخبون، دون ان يتنبهوا انهم يمثلون كتاب ومثقفى الجمعية العمومية التى تعبر - بالتبعية - عن الشعب ؟

● ثم هل ينتبه الى القضايا المصيرية التى يمثلها ويعبر عنها ، كأن نتحدث الآن عما يحدث فى العراق او فلسطين ، فى حين ان هذا المثقف او ذاك غائب او كالغائب عن هذه القضايا عما يدبر لنا بليل ؟..

● وهل يمكن ان ينتبه هذا المثقف او الكاتب الى تبنى فكر (الجمعية العمومية) ليس فى قضايا الداخل وحسب ، بل وقضايا الخارج ، حيث يجب ان يتم التلاحم بين اقطارنا العربية عبر الرأى الفاعل والبيانات الدالة والرأى الذى يكون من الاهمية بحيث يستجاب له ؟

● ثم ، الى أى مدى يمكن ان يمثل هذا المجلس او ذاك الوعى الذى يقتضى توحيد الاتحادات العربية عبر (خطاب) واحد – وهو ما أشار اليه هنا الامين العام للاتحاد محمد سلماوى .. فى وقت نعلم فيه جيدا ان اتحاد الكتاب العراقى مازال غائبا ، وان البحث عن اتحاد (واحد) فى فلسطين المحتلة مازال قائما ، فنحن نعرف اكثر من اتحاد او اتحادات جاوزت الستة تؤكد كلها انها تعبر عن المواطن الفلسطينى ؟

● فى هذا الإطار يمكن ان نسأل أيضا عن المصير القومى لبلادنا ، حين يتشظى المصير الواحد فى خلافات

متعددة وحيث نشهد من آن لآخر قمما عربية لا تترك غير بيانات باهتة ، خاصة ان احد المشاركين فى القمة الأخيرة يعلن – هكذا – انه (يقصد دولته) لن يشارك فى أى مؤتمر قمة آخر ؟

● ثم هل يدرك هذا المثقف حقا خطورة الإعلام حيث بدا واضحا كيف ارتبط السياسى بالإعلام حيث حدث ارتباط واقتران شديد بين رجال الأعمال وبعض المسئولين ، بحيث اصبحت كثير من القضايا الحياتية المهمة رهنا لتصرف رجال الأعمال ، وحيث اصبح القطاع العام فى يد من يملك فيملك دون الاشارة الى الدور الشعبى لما يحدث ..

● ثم هل يملك هذا – الكاتب – وعيا بالدور الذى يجب ان يقوم به فى هذه الفترة السيئة من تاريخنا ، وهنا ، نتلفت الى ما يجب ان يتنبه اليه المثقف وما يجب ان يكون فى وقت مازال هذا المثقف غائبا او مغيبا اما فى الأمية الثقافية ، وإما فى أمية البحث عن مصالحه الشخصية دون مصالح الوطن..

إن مثقف اليوم ، وهو ما نتفق فيه جميعا فقد دوره او كاد، سواء حاول ان يبتعد عن الأمير ، فيغيب ، او حاول ان يقترب من الأمير بقصد الاصلاح فاذا هو – بإرادته كاملة –

يصبح رجل الأمير ، ويدافع عنه دفاعا مجيدا ، وامامنا العشرات من مثقفينا الذين كانوا فى مناصب جامعية او غير جامعية غابوا فى (نداهة) الأمير بإرادتهم جيدا

ولم يعد الكاتب يدرك - فى تعبير سارتر - أنه لن يبقى منه إلا دوره فقط

فأين هذا الدور ؟

وأين هذه المسئولية الملقاة على المثقف (عالم الدين) فى هذا الزمن الردىء .

مشهد (٢)

.. مازلت فى حالة دهشة لحال الكتاب والمثقفين اليوم ، ففى حين يؤكد البعض فى كثير من الصحف او - حتى - الدراسات الإعلامية على غياب دور المثقف. ..فاننا مازلنا نوالى الاجتماعات ونجرى الانتخابات لإنجاح هذا الكاتب او ذاك ... ولا بأس من استخدامُ الالفاظ والوعود والمبالغات والكشوف .. وما الى ذلك للفوز بهذا الصوت او ذاك ..

ومصدر الدهشة ان كل مايجرى هذه الايام من دعوات ومقترحات يتقدم بها المثقفون (ولنأخذ مثالا واضحا لمايجرى الآن فى الانتخاب النصفى لاتحاد الكتاب..) فان كثيراً من

الكتاب انفسهم يراوغون فى قضايا الصالح العام ، ولا يوجد لهم موقف واحد واضح من قضايا كثيرة تفرض علينا ..

ان كتّابنا الآن مشغولون برصد انجازاتهم التى اشرت اليها من قبل والى ترديد هذه النغمة التى تعلو كلما شهدنا انتخابات تجديدية او نصفية لمثقفينا وكتابنا فى عديد من الاتحادات والنقابات الآن، وقد اشرت المرة الماضية الى الخدمات الصحية والتكافلية .. الى غير ذلك مما يردد فى هذه المناسبة ، مما يجب ان يقوم به الكاتب أو المثقف فلا يتوقف عند الخدمات والتكافل .. وما الى ذلك ، فكل ذلك مطلوب وهو فرض (عين) لا نقاش فيه، غير ان المطلوب ايضا وهو هو ايضا(فرض عين) وعى هذا المثقف او المرشح الغائب عمايحدث لنا وبنا .

كررت ان الخدمات لصالح النقابة او المجلس فرض (عين) ، ويجب ان نجاوزها الى مصيرنا الذى يدفع بنا عبر هذه (الفوضى الخلاقة) التى يتحدثون عنها كثيرا، ومن ثم ، فانه يتبقى كل مرة يجرى فيها انتخابات لهذه النخبة التى يمكن ان نطلق عليها "المثقفون": لا نخطئ هذا الترديد القديم

البليد عن الخدمات للحصول على اصوات الناخبين ، غائبين او مغيبين عن اهم القضايا التى تشكل المصير الموحش لمستقبلنا اليوم ..

لقد عدت الى عديد من هذه البرامج التى تقدم وجهود المرشحين عبر(كشف حساب) مجيد يتقدم به هذا المرشح أو ذاك ، ووجدت اغلب هذه الكشوف والبرامج والنشرات ..الخ تخلو من الفهم العام لما يحدث لنا فى هذا العالم ، حيث المصير العربى يمضى بنا خارج السياق العالمى ويدفع بنا خارج التاريخ فى حين – مانزال – نشغل فى المؤتمرات والاجتماعات ونمارس لغة الترشيح والتمجيد والتمديد والتعديد والبروباجندا التى تعلو وتهبط فور انتهاء الجمعية العمومية من اية انتخابات . لنقترب معا من احدى هذه الاجتماعات – وما اكثرها – سنجد ترديدا كثيفا على قضية المعاشات والإعانات والمحليات ؛ ومع اننا – كما نكرر –نؤكد على ان الاهتمام بهذا كله يصبح (فرض عين) لكننا نعود لنكرر للمرة الالف ان غفلتنا عن المصير الذى ينتظرنا وهو (فرض عين) ايضا يجب ان نهتم به ، وإلا فمن يقول لى –

ايها السادة الأماجد – استطاع منكم ؛ أن يلحظ عدم وعينا بالقدر الكافى لقضايا من مثل (تعديلات الدستور) و(مجزرة روح شاكيد) و(خصخصة) الكثير من مؤسساتنا التى تتسع الدائرة لها ، وتتوالى الاسئلة المعلقة من مثل : حرائق القطارات " قضية هايدلينا " شيوع رموز (التوربينى) و(تجارة التربية وتسويقها) – على تعبير د. حامد عمار ... فاذا جاوزنا المركز الى بعيد لواجهنا قضية اللبننة والعرقنة والدرفنة . (إذا جاز لنا ان نطلق على ازمة دارفور هذا المعنى) وقبل هذا وبعده دلالة ما يحدث فى القدس وصمتنا الغامض وكأننا لا نرتبط بأية علاقة لمايحدث بنا ولنا..

إذن ، ما الدور الذى يجب ان يقوم به هذا الكاتب ؟

نحن لا نريد ان نلقى اللوم على الكاتب وحده اليوم ، فقد اصبح من الواجب ان ننتبه فى هذه الاتحادات او النقابات والمؤتمرات التى نشهدها هذه الأيام ، وانما اصبح الاعتراف بقصور المثقفين ظاهرة يجب الالتفات لها ، فلدينا عدد كبير من المثقفين ، غير ان التأثير الايجابى للمثقف لا يكون الا من خلال (كتلة تاريخية) تنعكس فى(اتحاد)او (نقابة) أو (مؤسسة) برموزها الواعية .

اننا مع تأكيدنا على اختفاء دور الكاتب بشكل فردى نلفت النظر الى انه يمكن - لهذا الكاتب - ان يلعب دورا إيجابيا الآن من خلال هذه (الكتلة) لا (الفرد) ومن خلال (الوعى) لا (الانتهازية) ويحدث هذا الدور الايجابى فى المؤسسات الرسمية او غير الرسمية فى الدولة، فاتحاد الكتاب - على سبيل المثال - يستطيع ان يقوم بعملية التغيير من خلال تمثيله للمثقفين فى كتلة واعية مستقلة عن المركزية وواعيه لدورها ، ومن هنا ، يجب ان يدرك هذا الكاتب او المثقف - وقد عرفت الكثير منهم فى المجالس الثقافية والاتحادات والهيئات والصالونات الثقافية - ان يلعبوا هذا الدور بشرط الا يعمل كل مثقف وحده ، بل من خلال هذا الاتحاد او المؤسسة التى تمثل تحالفا ثقافيا للمثقفين، يكون لهم وعى بقضايا الحاضر(فلا يغيبون فى مصالح ذاتية)،

ويتحول هذا التحالف الى أداة واعية تنتمى للدولة ولا تنفصل عنها(ولا يغيبون فى إغراءات وقتية) ، فقد مضى هذا الزمن الذى يستطيع فيه المثقف ان يلعب دورا ايجابيا بشكل فردى..

ويجب الاسراع بالقول هنا ، إننى لا ادعو ان يتصل هذا المثقف او تلك النقابة (او الاتحاد) بالدولة بشكل جامد ، وانما

الاهم أن يتصل بها بوعى شديد ليمكنه ان يلعب هذا الدور فى بلد كمصر تعرف المركزية وضرورتها ..

أقول هذا وانا اعى تماما - على عكس ما يصل الى - ان عصر المثقف الفرد انتهى ، انتهى دور مثقف مثل طه حسين فى عصر النهضة ، وانما الدور المأمول الآن الا يغادر المثقف الاتحاد او(النقابة) او (الكتلة) التى ينتمى اليها بشرط ان يعى ان التغيير لا يتم الا بوعى هذا المثقف للكتلة التى ينتمى اليها (كاتحاد الكتاب على سبيل المثال) ويعمل من خلالها ، وامامنا بالفعل تجربة السنتين الأخيرتين التى شهدت نشاط محمد سلماوى فى رئاسة (اتحاد الكتاب) حيث استطاع تحقيق تحولات ايجابية كثيرة فى الوقت الذى لم ينفصل فيه عن السلطة المركزية ، وفى الوقت الذى لم يستطع فيه ان يتصل بالسلطة المركزية بشكل يهدد دور الكاتب والمثقف .

لقد انتهى دور المثقف الفرد ، ويبدأ دور المثقف (الكتلة التاريخية) عبر المؤسسة او الاتحاد الذى ينتمى اليه ، حيث يحدث التغيير فى ضوء وعى المثقف لا خارجه .. وهو ما نطرحه للنقاش امام كتابنا ومثقفينا ..

مشهد(٣)

.. مازلت : أقول .. مازلت ، في حالة دهشة لحال الكتاب والمثقفين اليوم ، وكتاباتهم المتوالية الينا فما قلناه مازلنا نردده ، وما نعرفه في الماضي مازلنا نكرره في الحاضر (المضارع المستمر) ، الذي نعيش فيه اليوم ..

انه الحاضر المستمر الذي نعرفه - فيما يبدو - في الماضي والمستقبل مرورًا بالحاضر الدامي الداعي للنظر والتأمل ..

والقضية - أيها السادة - الفضلاء اننا ما كدنا نردد في الكتابات الأخيرة هذه النغمة حتى توالت علينا اصوات لكتاب واصداء الكتبة ، وردود في البريد المكتوب والبريد الرقمي وكلها تثير القضايا التي تعلو كلما شهدنا انتخابات تجديدية أو نصفية لمثقفينا وكتابنا في عديد من الاتحادات والنقابات... الى غير ذلك مما يردد في هذه المناسبة ، مما يجب ان يقوم به الكاتب أو المثقف فلا يتوقف عند الخدمات والتكافل ..؛ ومن الممكن ان نكرر ان كل ذلك مطلوب وهو فرض (عين) لا نقاش فيه، غير ان المطلوب ايضا وايضا(فرض عين) هو وعي هذا المثقف او المرشح- الغائب الحاضر اليوم ..

الوعى مطلوب فيما نعرفه عما يجرى من التعديلات الدستورية التى شهدنا انطلاقها او الانتخابات الآتية التى سنشهد انطلاقها فى انتخابات نقابة الصحفيين فيما بعد .. وعلينا ان نتمهل ونتأمل فى هذه البرامج وتلك الاعلانات الممتدة الى مساحة شاسعة فى مكان التجديد النصفى للاتحاد .. نتمهل عند الكاتب او المثقف الذى أصبح اسيرا للكراسى الموسيقية او التوسل بمفردات العيش والخدمات الصحية وما الى ذلك .

اقول : توالت علينا الكتابات التى تغضب فى اغلبها من لومنا للمثقف ان يتجاوز الواقع المعيشى(ولا يهمله) الى الواقع المصيرى الصحفيين، وبين هذا وذاك مازلنا - والمضارع مستمر - نعايش هذا كله الاسابيع الماضية فى الانتخابات النصفية لاتحاد الكتاب ونحن (الكتاب والمثقفين والكوادر المالية والفنية واللجان والأعضاء..الخ) نترقب هذه الانتخابات التى تجرى غدا - الجمعة - عبر البرامج التى تقدم فى اتحاد الكتاب ، واغلبها - فيما نرى - مازالت تتحدث عن المعاشات واللجان الصحية على اهميتها دون ان نتنبه الى الخطر القادم الى الوطن ، وهو خطر غياب الوعى ،

وغياب الكاتب وراء شعارات ووسائل وقتية ، وغياب المثقف فيما نعانيه فى بدايات الألفية الثالثة...

نستطيع هنا ان نفتح قوسا كبيرا لنتحدث عن انجازات العام الأخير، لنجده مليئا بالانجازات والبرامج الاجتماعية ، وهو زاخر – أيضا – بانجازات تتعلق بمصيرنا جميعا حين نشير بفخر الى انشاء مقر جديد للاتحاد او اختيار مصر مقرا للأتحاد العام للكتاب والأدباء والكتاب العرب ، فضلا عن الاتفاقات الثقافية مع الاتحادات المشابهة مع الاتحادات والروابط العربية والغربية .. وما الى ذلك ، لكننا ، بعد ان نغلق القوس، نكتشف ، اننا نعود الى القضايا الاجتماعية والمعيشية التى تزخر بها (برامج السادة المرشحين) وكأن الأمر فى اتحاد كتاب ومثقفين لا يهتم بغيرالانجازات الاجتماعية والأنشطه الصحية وحسب ..

وكأن المثقف فى جلسات الاتحاد– وأنا شاهد عين – لم يرفع القضايا على زميل له ، وكأن هذا الكاتب لم يتربص بغيره داخل الجلسة وخارجها حيث ساحات القضاء وكأن هذا الكاتب أو ذاك فى فترة غضب لم يرفع يده بعنف (بلكمة) تصيب زميله؛ وكأن هذا الكاتب لم يتربح من هذه

اللجنة او تلك ، وكأن .. وهلم جرا فالأمر، كما نكرر، دائما ، لا يقتصر على اتحاد او هيئة او نقابة بعينها ، وانما اصبح السائد هو البحث عن المصالح الشخصية دون الواجب العام، وهو الواجب الذى لا يجب ان يتخلى عنه هذا المثقف أو ذلك الكاتب أو ذاك النقابى هنا وهناك !!

لا نريد ان نعود بالقارئ الكريم الى هذه البرامج المكررة، لكننا ،آثرنا، ان نعود الى مايجب ان تهتم به فئة المثقفين (فئة لا طبقة) فى وقت تتحالف فيه نخبة الاعلام أو (النخبة التليفزيونية) ونخبة رجال الاعمال للقضاء على الوعى الفكرى العام لمايراد لنا وبنا .. ورغم ما فى اغلب هذه البرامج من دعايات بالتمحك فى مكاسب الأعضاء ، فاننا لن نعدم كتابا عبروا عن هذا الهم المقيم الذى يعرف خطورة ما يحدث لنا فى هذه الفترة ..

وفى حين يغيب عدد كبير من المرشحين للانتخابات النصفية فى المكاسب الشخصية خلال برامجهم ، نجد عددا آخر منهم حاضرين واعين اشد الوعى للجانب الفعلى الجاد للتعبير عن الهم العام خاصة ممن نعرفهم فى الرموز الواعية من الجمعية العمومية وممن بدوا واعين اشد الوعى للفترة

التى نمر بها ، والتحمس لما يجب ان يقوم به الكاتب (كفرض عين) وهو ما نجده تفصيلا وتحليلا جاداً له فى التقرير الذى يقدم عبر هذا الانتخاب النصفى ، من مجلس الإدارة الى الجمعية العمومية فى اجتماعها العادى .

لابد ان نتنبه إذن - ايها السادة - الكتاب - (الكتبة) الى هذه النخبة التى تكونت ثرواتها من الفساد والنهب ، وهذه النخبة التى تكونت مناصبها من تجاوز هموم الانسان ، وهذه النخبة التى تكونت مقاماتها من الفضائيات والقنوات الأرضية والمؤسسة المغرية .. يجب ايها السادة ان نتنبه الى المثقف الذى لم يعد مثقفا الا داخل (الحظيرة)، والمثقف الذى لم يعد واعيا إلا لمصالحه ، والمثقف الذى لم يعد يرى إلا حركة الكراسى الموسيقية ، هذا المثقف الذى يحجب عنا الرأسمالية الشرسة التى تنتقل بين بغداد وسوريا ولبنان ومصر.. إلى آخر بلادنا، الى آخر مصائرنا التى ننتهى اليها..

عدت من (حالة) استعادة هذه المشاهد ، عدت الى هذا الواقع إبان الانتخابات النصفية الخزيلة ، المرتبطة مثل كل انتخاباتنا النصفية بهذه الشللية، وتلك (القوائم) الهزلية ثم

هذه الحركات المريبة التى كانت تبدأ بالحديث الخافت ثم سحب احد الناخبين من امام صناديق الانتخاب متوارين خلف دورة مياه ومعهم كتاب الله ليقسم هذا الكاتب (!!) او ذاك على ما يراد منهم .. فضلا عن اساليب اخرى كثيرة لم أكن لأعرفها لولا اننى هبطت المسرح لأرى ما يحدث امامى من مهزلة هذا الكاتب او المثقف فى هذا الزمن المريب ..

كنت كل مرة اسأل دهشا : أهؤلاء هم اعضاء الجمعية العموميه ؟ هل هؤلاء حقا يمكن ان يقال عنهم انهم اعضاء مجلس الادارة ، ، بلغ الحزن بى الى مداه وانا أتشكك فى قدراتى الذهنية ، هل انا افهم حقا مايحدث ام اننى مصاب بلوثة ثقافية؟

لم أستطع ان اظل امام هذه المشاهد كثيرا ..

لم أستطع ان أعيش فى هذه (المسخرة) لأكثر من ساعة ومضيت اهرول ؛ اجرجر ساقى واحلامى الذبيحة ، ولم انتظر حتى اكون امام الناخب النزيه ، الذى يترك كل شىء وراءه ليمارس (حقه) الديمقراطى .

الحزن الشديد سيطر على كيانى اليوم ، مازال ، رغم أنه مضت ايام على ما رأيته وافزعنى واحزننى ، ولم اهتم ان

اقاوم هذا الفساد ، فمايحدث وقد تم استئجار مسرح السلام بقاعته وغرفه لانجاز هذه المهمة دون جدوى ، دفعنى دفعا لمغادرة المكان ..

هل تسرعت ؟ سألت نفسي ، ومالبثت ان تداعت الاسئلة .

هل كان من الواجب أن استمر امام هذه الميلودراما السوداء؟

- ثم كيف يمكن ان اتعاون - بوسائل غير شريفة - مع اولئك وهؤلاء ...؟

- ثم هل انا اخطأت الطريق النموذجي للمثقف النابه المحمل بواجب التغيير خاصة ان هذا المثقف الآن هو خليفة عالم الدين فى العصور الاسلامية المتوجة ؟

.. أسئلة كثيرة كانت تدق قلبى بعنف فى الطريق الى ميدان التحرير.حزينا مغادرا هذا التجمع الانتخابي ولما تمر ساعة على فتح باب الانتخابات ، كنت أحث الخطى حزينا الى هذا الميدان امامى ..

هذا الميدان كان من سنوات مكانا للمعسكر البريطانى حين كانت مصر تحت نير هذا الاستعمار ،

وهذا الميدان الذى جاءت ثورة يوليو ، وغيرت التسمية الى ميدان التحرير

وهذا المكان الذى يشهد الآن تمثالا كبيراً للبطل عبد المنعم رياض ، بطل اكتوبر ، وفى الوقت نفسه ، يشهد قدرا هائلا من التعاون في حق المواطن ..

لم أستطع مقاومة الفرار من هذا المكان

ورغم اننى بتكوينى مقاتل صلب ، فان التصدى لمايحدث، امامى ، لا ينفع معه التصدى بالعنف او باللين ، فكل من جاء للانتخاب – من الكّتاب – او للأمن – من قوات الامن يقوم – كل منهم – بالدور الذى جاءوا من اجله ، وهو دور وجدت شخصى الضعيف غريبا عنه ، يتيما عما يحدث فيه ، تركت المكان وحاولت الصعود الى احدى وسائل المواصلات العامة لاعود واجما حزينا الى البيت ..

عدت الى اوراقى ، وحاولت الكتابة فى الايام الماضية ، لم اجد لدىّ القدرة ان افعل ذلك ، فالاحباط والهم الثقيل يسيطران على كيانى كله ، لم استطع حتى الان غير ان اترك مقال الاسبوع الماضى– الخميس – كما هو ، انه المقال الذى استطاع ان يستشف مثل ما يحدث اليوم ، وان يكون ليس بمثل هذه المهانة والقرصنة المهينة .. ولا املك الآن غير ان اترك هذا المقال ، وسابقيه مقالتين أخريين، نشرتهما بصحيفة الاهرام قبل اسابيع ، ويبدو اننا قبل ان نصل للمقال

الثالث الذى سينشر ، يبدو اننا لابد ان ندرج ما كتبته خلال الايام السابقة ، التى كان يجرى فيها الصراع لهذه الانتخابات ، وفى الوقت نفسه ، كنت أشهد تحولاتى الفكرية تدفع بى الى تخوم الالم والحزن والإحباط لما اصيب به المثقف المصرى الآن ..

هذا مثقف يقوم بدوره بتسلم (قوائم) بأسماء بعينها وهذا مثقف يدفع مبالغ مالية مقابلة ليحدث ما يريد هو وجماعته

وهذا مثقف استمع لوعود كثيرة وجاء لينتخب من وعده، وما اكثر من وعد فى هذا ..

لقد رفضت ان أواصل هذا الدور كاحد المنتخبين ، وتركت كل شئ لأمضى بعيدا ، هل انا رومانسى حقا ؟ تساءلت وأجبت بل انا احمل هذه القيم التى يجب ان يتحلى بها المثقف ويمارسها ، بشكل واع وواقع يستلهم ما يجب ان يكون

لا بأس من أن اترك ما كتبته الآن للقارئ الكريم ، او اللبيب ، لنفكر معه وبه فيما يحدث للمثقف فى هذه الفترة القاتمة من تاريخنا .

وعدت لأكتب اخيرا مقالة عما يحدث ، فى مشهد آخر ، لأكتب او أصور المشهد الآخر

مشهد٤

دهشت ، وانا اشـارك فى احـدى الندوات عن اتحـادات الكتاب ومبعث دهشتي يعود الى ان اغلب المشاركين ، خاصة في القاعة ، جاءوا يتحدثون حول ضرورة توفير الخدمات للسادة الاعضاء بما فيها من قضية التأمين والعلاج ودعم الفروع. والمشروع العلاجى.... وما إلى ذلك من الخدمات التى يجب ان يقدمها الاتحاد - أى اتحاد- او النقابة - أية نقابة - الى المشتركين فيها ، دون الإشادة بما فعله ، او الافادة بما يجب ان يفعله عضو مجلس الإدارة فى حالة اعادة انتخابه .. والغريب انه مضت الساعات ولم يخرج السادة المرشحون والمسئولون - عن التأكيد على مطالب الجمعية العمومية!! ومضت الساعات بهذا التجمع من الكتاب والمثقفين دون ان نتنبه الى أن الانسان العربى واع اشد الوعى بما يجب ان يفعله المرشح وما يريده والواقع أن الدور الذى يجب ان يقوم به الكاتب أو المثقف لا يتوقف عند الخدمات والتكافل .. وما الى ذلك ، فكل ذلك مطلوب وهو فرض (عين) لا نقاش فيه، غير ان المطلوب اكثر هو وعى هذا المثقف او المرشح لحاضر أمتنا والمستقبل الذى نعمل له ..

الخدمات لصالح النقابة او المجلس فرض (عين) ، ويجب ان ننطلق منها الى مصيرنا الذى يدفع بنا عبر هذه (الفوضى الخلاقة) التى يتحدثون عنها كثيرا ..

إن دور الكاتب فى هذه الظروف الصعبة التى تعيشها امتنا فى شتى الميادين تتجاوز الكائن الى مايجب ان يكون ، وأول الفروض فى هذا هو التمهل عند دور هذا المثقف الحاضر الغائب ، هذا المثقف الذى لا نسمع صوته العالى أو الإعلان عن جهوده الكبيرة فى الخدمات والمشروعات ، اللهم إلا فى هذه الفترات التى تسبق الانتخابات ، ولا نسمع صوته العالى اللهم إلا حين يضرب على وتر الحاجة هو الشيء الوحيد الذى يجب ان نتنبه له ، فى حين ان الدور الحقيقى للكاتب هو دورمستمر ، وليس هذه "البروباجندا" التى تبدأ وتنتهى فى الغالب غند انتهاء دورة التجمعات اوالانتخابات لينتهى كل شيء عند انتهاء الانتخاب او المناسبة التى تواجد فيها .....

.... ان الكاتب – فى الانتخابات النصفيه الآن او اى انتخابات فيما بعد – يجب ان يعى تماما ان المشارك فى الانتخاب او التجمعات الإيجابية فى (جمعية عمومية) هذا

المشارك سواء الكاتب او الإنسان ، يستوعب كل ذلك ويعمل له ، والقياس يظل دائما حقيقة هذا الكاتب ، والدور الحقيقى الذى يقوم به ، الدور وليس الكلام الذى يخفت ويتلاشى حين تنتهى المناسبة ..

إننا نتحدث هذه الأيام كثيرا عن المادة ٦٧ ، دون ان نتنبه ونحن مقبلون على الانتخابات النصفية إننا يجب ان نعى الدور الحقيقى لهذا الاتحاد ، ليس فى الخدمات وحسب - فهذه امور لابد منها ، والتمهل عندها ، ولكن يجب ان نسأل ايضا : هل يملك هذا المرشح - أو ذاك - من الوعى ما يجعله يدرك حقا اننا مقبلون على مرحلة مهمة فى حياتنا يجب ان نتنبه لها سواء على مستوى القيادة داخل هذا الاتحاد او تلك النقابة ؟.. وهى المرحلة التى تحتاج وعيا فائقا بما نعيش فيه، وهو يعتمد الى حد كبير على وعى هذا المرشح - على جميع مستويات الترشيح - سواء فى تلبية المشاريع الداخلية - وهذه مهمة الى حد كبير - ثم تلبية طموح اعضاء الجمعية العمومية أبعد من ذلك ، حين يصبح الاتحاد فاعلا هل يتبنى القضايا السياسية الفاعلة فى وطننا ؟ وهو مايطرح علينا أسئلة بدهية ....

● هل يمكن ان يعقد حوارا مستمراً بين المجلس الذى ينتمى اليه (اذا كان عضوا فى المجلس) ورموز الجمعية العمومية التى تمثل جموع الكتاب والمثقفين الواعين بما يحدث حولنا جيدا ؟ .

هل هناك - حقا - حلقة اتصال بين هذا الكاتب ومن يمثلهم ..؟

● هل ينتبه هذا الكاتب الى ألوان الطيف التى ستكون فى هذا المجلس المنتخب او ذاك ؟ وقد عرفت وشهدت على المستوى الشخصى فى عديد من اجتماعات المجلس خلافات وهمية يغيب فيها السادة المنتخبون، دون ان يتنبهوا انهم يمثلون كتاب ومثقفى "الجمعية العمومية" التى تعبر - بالتبعية - عن الشعب ؟

● ثم هل ينتبه الى القضايا المصيرية التى يمثلها ويعبر عنها ؟ ، كأن نتحدث الآن عما يحدث فى العراق او فلسطين، فى حين ان هذا المثقف او ذاك غائب او كالغائب عن هذه القضايا وعما يدبر لنا بليل ؟..

● وهل يمكن ان ينتبه هذا المثقف او الكاتب الى تبنى فكر (الجمعية العمومية) ليس فى قضايا الداخل وحسب ، بل

وقضايا الخارج ، حيث يجب ان يتم التلاحم بين أقطارنا العربية عبر الرأى الفاعل والبيانات الدالة والرأى الذى يكون من الاهمية بحيث يستجاب له ؟

● ثم الى اى مدى يمكن ان يمثل هذا المجلس او ذاك الوعى الذى يقتضى توحيد الاتحادات العربية عبر (خطاب) واحد - فى وقت نعلم فيه جيدا ان اتحاد الكتاب بالعراق مازال غائبا ، وان البحث عن اتحاد (واحد) فى فلسطين المحتلة مازال قائما ، فنحن نعرف اكثر من اتحاد او اتحادات جاوزت الستة تؤكد كلها انها تعبر عن المواطن الفلسطينى ؟

● وفى هذا الإطار يمكن ان نسأل أيضا عن المصير القومى لبلادنا ، حين يتشظى المصير الواحد فى خلافات متعددة وحيث نشهد من آن لآخر قمما عربية لا تترك غير بيانات باهتة ، خاصة ان احد المشاركين فى القمة الأخيرة يعلن - هكذا - انه (يقصد دولته) لن يشارك فى أى مؤتمر قمة آخر ..؟

● ثم هل يدرك هذا المثقف حقا خطورة الإعلام حيث بدا واضحا كيف ارتبط السياسى بالإعلام حيث حدث ارتباط واقتران شديد بين رجال الأعمال وبعض المسئولين ، بحيث

اصبحت كثير من القضايا الحياتية المهمة رهنا لتصرف رجل الأعمال ، وحيث اصبح القطاع العام في يد من يملك فيملك دون الاشارة الى الدور الشعبى لما يحدث ..

● ثم هل يملك هذا – الكاتب – وعيا بالدور الذى يجب ان يقوم به فى هذه الفترة السيئة من تاريخنا ، وهنا ، نتلفت الى مايجب ان يتنبه اليه المثقف وما يجب ان يكون فى وقت مازال هذا المثقف غائبا او مغيبا إما فى الأمية الثقافية ، او أمية البحث عن مصالحه الشخصية دون مصالح الوطن .. ان مثقف اليوم ، وهو ما نتفق عليه جميعا فقد دوره او كاد سواء حاول ان يبتعد عن الأمير فيغيب ، أو حاول ان يقترب من الأمير بقصد الاصلاح فاذا هو – بارادته كاملة – يصبح رجل الأمير ، ويدافع عنه دفاعا مجيدا ، وامامنا العشرات من مثقفينا الذين كانوا فى مناصب جامعية او غير جامعية غابوا فى (نداهة) الأمير بارادتهم جيدا ولم يعد الكاتب يدرك – فى تعبير سارتر – انه لن يبقى منه الا دوره فقط ..

فاين هذا الدور ؟ وأين هذه المسئولية الملقاة على المثقف (عالم الدين) فى هذا الزمن الردىء؟

مشهد أخير
مشهد ليس أخيرا

الجمعة ٦ مارس في الرابعة والنصف صباحا..

ماذا أيها الجوزاء ؟

ماذا يحدث لك ؟

منذ عدة أيام وأنت تعانين هذه الآلام النفسية المريعة ، لا لما رأيته في اتحاد الكتاب ، ولكن ما رأيت فيه مصير هذا الاتحاد ، حيث تتحكم فى الانتخابات المصالح الخاصة جدا، واغلبها المصالح المالية ، والمصالح الشخصية ، فاذا هى تترجم ، اثناء الانتخابات الى هذا الواقع الرهيب ، حيث تعمل القوائم والشلل والمصالح الرخيصة الى إنجاح هذا او استبعاد ذلك وشبكة المصالح الخاصة تعمل وتعمل ، فعلى الرغم من إصرار رئيس الاتحاد ان يتم الانتخاب النصفى هذه المرة تحت اشراف القضاء ...... فان ما يحدث فى ذلك هو هو ما يحدث فى اغلب انتخاباتنا ، ان هذا يشير ، بل ويؤكد ، انه – وحتى تحت رقابة القضاء – رغم هذا – فان الفساد الكامن فى اعماق الانسان العربى (وهو هنا الكاتب او المثقف) يظل أقوى من اية سلطة ، حتى لو كانت سلطة القضاء ، الشر يظل أقوى ، وسوء الطوية تظل اعلى تعبيرا ،

وتقنين المصالح الخاصة الانتهازية يحبك فى دأب وشراسة اكثر الاشياء شرا فى هذا العالم، القضاء على الديمقراطية ..

إنه الشر الذى يتجلى فى صور كثيرة ، ويتماهى مع آليات كثيرة ، واصوات كثيرة ، لكنه يفرز فى السياق الأخير انتصار الوجه القبيح فى حياتنا سواء على مستوى النخبة السياسية أو على مستوى النخبة الاقتصادية (رجال الاعمال) او حتى – وهو اكثر استمرارا وقتامة على مستوى فئة المثقفين ..

وعلى المستوى الشخصى ، وها أنا أصبح فريسة ، على المستوى الشخصى ، لما يحدث فى الواقع ،.. أحس بآلام هائلة يتداخل معها الخوف الشديد ألا يجدد لى بعد الستين فى يونيو القادم ؛ أخاف هذا جدا ، فإن شعلة الحيوية والنشاط والقلق .. وما الى ذلك مما يكون شخصيتى ، أخشى أن يؤثر فى بالسلب ، فاقع – تحت سيف الصمت والفراغ .. وما الى ذلك مما هو ضد تكوينى الذاتى . مما يسلمنى الى مزيد من الالم ومزيد من " الروع" الذى أعيش فيه ..

المخاوف كثيرة ، والأخطار كثيرة ...

قضيت اليومين الأخيرين فى قلق شديد ، صحبه الصداع المرعب الذى أحس به دائما كلما حان وقت القلق المتراكم ،

إنهـا(حـالة) من القلق والالم والحـزن والخـوف من الآتى ، والرعب من المجهول .. ماذا ..؟

ماذا ايها الجوزاء ؟ لم تعد كما كنت ، ها انت تعبث كثيرا فى الكومبيوتر الشخصى الذى تسلمته منذ يومين ، وها انت تقـاوم هذه (الحـالة) بالقـصـور الذاتى الذى تشـغل به فى صمت، انها حالة حولتنى الى الصمت طويلا ؛ هذا الصمت الذى أفر اليه كلما كنت بين اهلى او حتى بين زملاء العمل ، او حتى بين اصدقائى ؛ انه الصمت الذى يكمن فى داخل الاعماق النارية..الصمت القابع فى الاعماق البعيدة .. جاء الى من يسر لى بانه عرف بشكل شخصى ان رجل الاعمال اياه استطاع ان يشترى عددا من الأعضاء والسيطرة على البعض كيلا تصبح فى مجلس الادارة و.. والواقع أننى لم أعدلأهتم كثيرا بهذه النتيجة ، فقد رأيت أبشع من هذا يوم الانتخابات ، سواء فى هذه القوائم التى كانت تسلم للبعض ، وهذه المبالغ التى كانت ترتبط بالاسف الشديد - باليمين المغلظة لفرض اسماء معينه ، وهو ما دفعنى للغضب فأغادر المسرح ، او المكان الذى اختير الآن لإجراء هذه الانتخابات ؛ ولكن فى صمت وحزن شديدين ×) ..

أيها الجوزاء ، كم تعانى الان من مشاعر الحزن والاحباط والشـقـاء ؟ فـمـا يحـدث لك وحـولك ، ومـايحـدث فى هذا (المضارع المستمر) الى مالانهاية يظل اكثر ما يحولك الى شعلة قاتمة من النيران العنيفة قاتمة حقا وقائمة فى الداخل..

لكنك؛ ايها الجوزاء تفعل دائما ما جبلت عليه منذ وعيت نفسك على هذه الارض ، تظل فى هذه " الحال" القاتمة ، قد تحول عنها حين تغرق فى دراسة او عمل فكرى لكنك لابد وان تعود اليها دائما ؛ دائما كنت تفعل ذلك ..

لايهم ذلك كله ، لأنصرف وانا مكدود العقل والنفس الى شئ آخر ..

إلى صورة هذا التراث ؛ اقصد التراث المهدور فى مشهد درامى حزين .

(٥)
الغرب والمستقبل..شهادة أخيرة

تثير زيارة الرئيس الى أمريكا هذه الأيام - صيف ٢٠٠٩ - أسئلة كثيرة حول التعددية فى اتجاه الطائفية أو الهوية الثقافية الواحدة ، وهو ما يثير الكثير من الكتابات والمقالات التى تعود بنا القهقرى الى الوراء فضلا عما يعنيه هذا من العود الى شروط التقدم ، وهى الشروط التى تشير ضرورة تلمس ثقافة واحدة من نوع الهوية الثقافية التى نجدها بالفعل وليس مجازا بنى شعوب الشرق العربى والاسلامى التى نعيش فيها الآن ..

عدت أستعيد سؤال وراء سؤال وأنا فى صيف هذا العام

إن طرح السؤال والإجابة عنه تؤكد هذه البدهية ان التعدد لايلغى التوحد بل على العكس يؤكد هذا التوحد ويعدد مناطق القوة فيه وهى كثيرة اكدها التاريخ وتؤكدها الجغرافيا..

إن اعادة طرح السؤال البديهى يفسر كيف ان الواقع الذى يجب أن نعيشه هو الواقع الرمزى أو المتبلور فى ثقافة

واحـدة يمكن ان تجـمع الكثـيـر من أبناء الوطن الواحـد ، فنستطيع ان نعدد الكثير من خيوط عرقية ومذهبية ودينية فى النسيج الواحد لا خارجه والأمثلة كثيرة نعيش فيها أو تعيش فينا .. نستطيع اليوم ونحن نتأمل قليلا مايحدث فى العديد من أقطارنا السودان واليمن والعراق والجزائر ومصر العديد من هذه الخيوط : نستطيع على سبيل المثال ان نتوقف عند النموذج السودانى لنجد فى الوطن الواحد السودان : البجا والهوسا و النوبيين والفور وشعوب صحراوية أخرى فضلا عن القبائل النيلية وشبه النيلية والبانتو والوثنيين والمسيحيين، نستطيع ان نصعد الى النموذج الآخر فى سوريا لنجد فى الوطن الواحد سوريا : العلويين والدروز والاسماعيليين والمسيحيين والأكراد والشركس .. ومايقال عن السودان وسوريا يمكن ان يقال عن اليمن والمغرب فى آن واحد ، غير أن هذا يجب ان يرتبط بقضية محورية مهمة هى ان التعدد لايلغى التوحد ، التعدد المذهبى أو الجنسى لايلغى التوحد الثقافى ، فالتوحد الثقافى هنا هو ما يصنع "الهوية" الثقافية فى بلد كمصر ، وبالتبعية فى عديد من الأقطار التى تنتمى للشرق الذى نعيش فيه اليوم .. إن مايقال عن سوريا

والسودان يقال عن اليمن ومايحدث فيها الآن من الحوثيين وفتنة المذهب الزيدى .. هل نضيف مايحدث اليوم حول البيت الأبيض أثناء زيارة الرئيس للعاصمة الأمريكية

إن الخطر أيها السادة هو فى التعدد تحت مسميات كثيرة، والخلاص أيها السادة فى التوحد عبر هوية ثقافية واحدة هى قائمة بالفعل وليست مستوردة بأية حال .. الخلاص بالوحدة الثقافية وليس ابدا بالتعددية تحت أية مسميات ..

إنه الواقع الذى يجب أن نتمسك فيه بذاتنا الثقافية وعبر قانون المواطنة لا أفات الطائفية والمذهبية والاستعمارية التى تريد الفتك بنا جميعا ..

....

مازالت زيارة الرئيس مبارك تثير الكثير من الملاحظات الإيجابية فى عالمنا المعاصر، أو لنقل فى دقة أكثر فى عالمنا المصرى الذى هو بالتبعية يمثل احد الشعوب العربية والشرقية فى المنطقة ..

وهذه الملاحظات وصلت الى أقصاها الثلاثاء الماضى- ١٨ اغسطس - حين التقى الرئيس المصرى بنظيره الأمريكى

فقد تعددت التفسيرات وتحددت دلالاتها فى معنى الشراكة الاستراتيجية المصرية الامريكية حين كان البعض يسعى الى تفسير مايحدث في إطار هذه الطائفية التى تجمعت فى شكل مظاهرات و احتجاجات تكرس لمعنى هذا التعدد ليس التوحد فى ثقافة واحة يمكن ان يعود اليها معنى الانتماء فى الوطن الواحد ..

وكانت هذه هى الثقافة التى سعى البعض للترويج لها تحت اسم مطالب معينة او اجراءات عاجلة فى شوارع البيت الأبيض فى حين ان الواقع المصرى هناكان يملى شيئا مغايرا ، هو ، أن الدعوة الى مثل هذه المطالب او الاجراءات إنما كان يعكسه الواقع الحقيقى : هذا الواقع الذى لايجب ان ينسحب الى الاتهامات الطائفية او العرقية الطائرة هناك بقدر ما ينتمى الى مفهوم المواطنة القائمة هنا ، فنحن جميعا فى وطن كمصر ننتمى الى العديد من خيوط الطيف : الطائفى والعرقى بالمعنى العضوى بشكل لانجده فى كثير من الأقطار حولنا ، وعلى سبيل المثال اننا اذا تحدثنا عن أقباط مصر سنجد أننا جميعا من المسلمين والمسيحيين من الاقباط بالمعنى التاريخى العضوى الكامل انثروبولوجيا

وتاريخيا واجتماعيا فى حين ان مسيحيى العراق على سبيل المثال ينتمون الى عدد كبير من الفئات العراقية العربيةمن العرب و الصابئة المندائيين والأكراد والايرانيين و التركمان فى سوريا فى مثال آخر - .. نجد .. وما الى ذلك مما يؤكد على ان النسيج المصرى لدينا يحتوى على نسيج عضوى تتكامل فيه خيوط المسلم والمسيحى سواء أكان فى القاهرة او فى سيناء سواء أكان لدى أولاد على فى الصحراء الشرقية او أبناء شلاتين فى الجنوب، النسيج المصرى ايها السادة متجانس ومتداخل بحيث انه يصعب علينا التحدث فيه عن نسب مغايرة و مختلفة ، الطيف السكانى تجانس وتماس عبر التاريخ والجغرافيا بشكل يصعب الحديث فيه عن تعددية طائفية او جنسية بأى حال ..

وهوما يقترب بنا اكثر من السياق الاخير ، ونقصد معه قضية المواطنة فى الوطن ..

إن الخلاف بين أبناء الوطن وهو شرعى وطبيعى لايخرج بنا قط الى هذه التعددية الطائفية - بأية حال ، وانما الى حق المواطنة فى المقام الاول ، إن مايبحث عنه المصرى فى جنوب البلاد كما فى شمالها أو غربها إنما يبحث عنه

المواطن في غرب البلاد كما في شرقها . العلويون والدروز والاسماعيليون والمسيحيون وغير العرب من الأكراد والترك .. الى غير ذلك

إن الواقع هنا يختلف عن اى واقع هناك ، اننا نتحدث هنا عن المساواة وليس التعدد ، الفرص الواحدة وليس التفرقة بأية حال ، إنها المساواة بين أبناء الوطن الواحد : المساواة في الفرص في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على السواء ؛ هذه هي المساواة حين نتحدث عن المادة الثانية من القانون المصرى او بناء دور العبادة أو حق الانتخاب او تكافوء فرص العمل .. وما الى ذلك ممايمكن ان يعاني منه الانسان المصرى مع تعدد العقيدة او الانتماء اليوم ..

إن نظرة عامة لمايدور حولنا في أرض الكنانة ترينا ان مايتعرض له المواطن في اى دين هو هو ما يتعرض له المواطن الآخر، التفرقة هنا تصبح واقعا عاما لايتمهل عند صاحب هذه الملة او صاحب هذا الدين بأى حال من الاحوال .. ويمكن ان نؤكد على المستوى الشخصي إن المعاناة في بناء دور العبادة لايتوقف عند هذا المواطن او ذالك كما ان

التهميش اجتماعيا لظروف اقتصادية نعانى منها جميعا أصبح يترصد جميع المواطنين ليس هذا المواطن أو ذاك ..

وهو مايدفعنا من الخروج من شرنقة التعدد الطائفى الى البحث عن حق المواطنة .. الى الخروج من أسر الحقوق الى أمر الواجبات .

لانحتاج فى هذا الصدد الى الاشارة الى كثير من الافكار العميقة فى مجتمعنا نتبنى قضية المواطنة لا التعدد منذ عصر اخناتون فى مصر القديمة حتى اليوم دون ان نزايد على اى منها ، بل ان بيننا من راح يبشر منذ قرابة ربع قرن بشىء اقرب الى " المشترك الثقافى" بين الاجناس- د. وجدى زيد مما يؤكد على ان هناك روابط وعناصر أكيدة تربط بين البشر جميعا مابالك بأبناءالقارة كلها مابالك بأبناء حضارة واحدة منذ عصر التوحيد فى مصروبزوغ فجر الديانات التوحيدية..

● وعود على بدء ، نريد أن نشدد هنا على أن حق المواطنة يظل اولى بالاهتمام من التعدد الطائفى ، وهو تعدد وهمى لاينتمى الى مصر بأية حال من الأحوال ، انه حق

المواطنة التى تؤكد على ان لكل مصرى حق ، وبالتبعية ، على كل مصرى واجب لابد ان يتنبه اليه ..

إنه حق المواطنة وقبله واجب الانتماء الى أرض الوادى وسلامته .. أليس كذلك ؟!!

....

عدت لأستعيد لحظة التأمل التحول بعد ان عدت من استانبول واكتب :

كنت هناك فى هذا الوقت .. الاثنين وفى التاسعة وخمس دقائق صباحا حين انطلقت صفارات المصانع وتوقفت وسائل النقل ووقف تلاميذ المدارس فى وضع الانتباه .. هو هو الموقف الذى وجدت نفسى فيه أمام تمثال مصطفى كمال أتاتورك فى قونيه أمام متحفه أو فى الساحة الرئيسية فى اسطنبول (تقسيم) التى تتفرع منها شوارع عديدة وحيث نصب حجرى يطل من كل واجهة من واجهاته الأربع تمثال لأتاتورك كأن كل شىء يشير الى الرمز .. أضابع الرجل التمثال تتجه إلى الغرب . عدت بذاكرتى الى موقف أتاتورك الذى لم يتغير منذ منذ ٧٠ عاما... غير أن هذا الموقف لم

يحمل لى هذا التوجه الجاف إلى الغرب بقدر ماحمل التوجه الرمـزى: إنه واقع لا نسـتطيع تجـاهله ، لكنه الواقع الذى لانستطيع معه أن نتجه إلى المستقبل دون الوعى به إنه الواقع الذى يفسر مايحدث الآن فى المنطقـة العربيـة ..الواقع الذى يفسـر ضـرورة التنبـه للهوية كوسيلة دفـا ع وحيـدة فى هذا العالم :الهوية الخاصة بنا هذه الثقافة، الإسلامية، التى يجب أن نحرص عليها ونحن نتجه الى الغرب..نتجه إلى الغرب أو ضد الغرب..نتـجـه الى الغـرب لاسـتـعـادة القيم الحـضـارية والعلميـة العـالية..أونتجه ضد الغرب ضد الهجمة العنصرية والإمبريالية..

الواقع أن الاتجـاه للغـرب هنا كـان يعنى الاتجـاه الى المستقبل ، ليس الغرب بالشكل الطبوغرافى او الجغرافى او حتى الحضارى وحسب ، وإنما الى الغرب بالمعنى الرمزى، وحتمية التعامل مع هذا الغرب بشكل واع ، فلن نستطيع ان نعيش فى بدايات الالفية الثالثة ، فى عصر ما بعد سقوط سور برلين ، وسقوط أشكال الحرب الباردة ، وصعود القوى الاقـتـصـادية العـاتيـة مـرورا من الصـين واليـابان ونيـبـال

وسومطرة الى بورما وسيلان وسيام مرورا بالغرب الاوروبى وصولا الى الغرب الامريكى حيث الغرب الذى يعيد تشكيل واقـعنا بمنطقـه الذى لابد ان نتنبـه له، الواقع ان الوعى الحضارى هو الذى يجب ان نتنبه له فى هذه الفترة الصعبة من تاريخينا المعاصر حيث نتجه الى تجليات العولمة لنستعيد فيها قيمة الهوية الواعية..انها تجليات عاتية لا تختلف مع الاصالة بقدر ما تتفق مع المعاصرة

لاتختلف تتفق مع مفهوم العولمة بقدر ماتتفق مع عالمية الإسلام فهناك فارق مؤكد على سبيل المثال - .بين هذه العالمية للاسلام والعولمة الغربية التى نراها: فالعولمة ظاهرة تجتاح عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج الهائلة.. وهناك انتشار يواكب هذا التقدم الهائل فى وسائل الاتصال والثورة المعلوماتية.. انتشار فى القيم والعادات والثقافات الغربية ، فالعولمة من خلال آلياتها الاقتصادية تسعى إلى صياغة نسق من القيم الكونية - تمييزا لها عن أن تكون قيما تنتمى لخصائص حضارة معينة- هذه القيم سواء فيما يختص منها بالسلوك الاقتصادى أو النظام العائلى.. أو

القيم والأعراف والتقاليد تظل مخالفة تماما لقيمنا الإسلامية بالدرجة الأولى.. وبوضوح أكثر ، يريد أنصار هذه العولمة أن تعم (قيم العولمة الكونية) الغربية مقابل تغييب ثقافة الهوية الشرقية بيننا..إنه الوعى الإسلامى المعاصر الذى تتماهى فيه قيم الهوية العقيدية مع القوميات والأقليات والجماعات والتيارات الفكرية والسياسية وما إلى ذلك ليؤكد لنا مفهوما واعيا للغرب ، لم يعد الغرب هدفنا بقدر ما نستعيد فيه القيم الإسلامية العالمية وليست المعولمة بأية حال ..

انه الغرب الذى لابد ان نتنبه اليه وهويشير الى المستقبل اكثر مما يعود بنا الى الماضى ..

الغــرب هناك المسـتـقـبل هناك – حـدثت نفـسى لكن استطردت بسرعة يكون مفيدا بقدر مانكون نحن واعون بضـرورته ، وبقـدر مـانكون نحن واعـون بشـروط العـيش فى الألفية الثالثة ، لانتخلى عن الهوية وفى الوقت نفسه لا نبتعد عن المستقبل وشروط العيش فيه .

كان على أن أحاول ان اتحرك وافهم أمام تمثال مصطفى كمال أتاتورك فى قونيه أمام متحفه أو فى الساحة الرئيسية فى اسطنبول (تقسيم) ..

كان على أن أحاول رؤية الغرب بشكل جديد يستعيد الوعى بالهوية الحضارية لا الغياب فى الهويات والمذاهب والطوائف والقوميات الكثيرة التى نغيب فيه االيوم..

كان لابد من التنبه الى أمر بدهى ، هو ، أن العيش فى هذا العالم لايجب ان يتلمس معه الشوفونية او التمهل عند مفاهيم أو تعريفات ذاتية عقيمية ، فكتاباتى التى زادت على سبعين كتابا يبدو فيها رؤيتين تتماهى فيهما الرؤية فى السياق الاخير ، أقصد رؤية الوعى القومى العربى ورؤية الوعى الإسلامى .. ومراجعة عنوانات مانشرت يبدو احتفاء كبيرا بالوعى القومى العربى ، غير ان التمهل اكثر ، والتأنى عند تحديد وجهة النظر الذاتية ، تريننا ان الرؤية الابعد – لما بعد القومى العربى هى الوعى الاسلامى ، هذا الوعى ليس تمهلا عند العقيدة فحسب وانما عند عناصر الهوية العربية التى تنبع من الفكر العقيدى ولا تتوقف عنده كثيرا ..

الوعى الذى يستمد عنصاره من التاريخ الحضارى للمنطقة .وعلى هذا النحو ، فإنه يمكن القول إن الهوية الاسلامية تستوعب الاقليات الدينية او العرقية او الاجتماعية

او الوطنية فى نسيج معاصر ، فالهوية تصبح وعيا للقضاء على العنصرية او التميز او اتخاذ موقف من الأقليات إنطلاقا من ان الهوية التى هى نتاج الاف السنين من التطور تفرض المساواة فى حقوق المواطنة فى المنطقة مما يشير الى - تأكيد الواقع الذى يتمثل فى تأكيد وتحديد الهوية الحضارية فى المنطقة مما نصل معه الى تأكيد هذه الهوية الثقافية ، وحين نقول الثقافية فاننا نعنى إلغاء مايهدد نسيج الهوية الحضارية فى المنطقة ضد الغرب الإمبريالى .. ولاهمية هذا الطرح ، فقد وجدت نفسى فى اكثر من ندوة او احتفالية فى أنقرة اذكر هذا التباين الذى يجب تقبله والتعامل معه بوعى شديد ، وذكرت ان لدينا فى المنطقة العربية نسب عديدة :

العراق ، المسيحيون غير العرب ٣ ٪، الصابئة المندائيون أقل من١ ٪، الأكراد ١٨ ٪، الايرانيون ١,٥ ٪، التركمان ٢ ٪ .سوريا، العلويون ١٠ ٪، الدروز ٤ ٪، الاسماعيليون ٧ ٪، المسيحيون غير العرب٣ ٪، الأكراد ٤ ٪ ، الترك ١ ٪، الشركس١ ٪ .الأردن، المسيحيون١,٥ ٪، الشركس ١,٦ ٪، الشيشان أقلية ضئيلة،

الأرمن ٠,٥ ٪، الأكـراد ٠,٣ ٪، التـركـمـان ٠,١٢ ٪ .لبنان، الدروز ٦ ٪، العلويون أقل من ١ ٪، المسيحيون العرب ٣٣ ٪، المسيحيون غير العرب ٥ ٪، الأكراد ١ ٪، الترك أقل من ١ ٪ . مصر، النوبيون ٢ ٪، البجا (ومنهم البشارية) أقل من ٠,٥ ٪، البربر(السيويون) أقل من ٠,٥ ٪،أفارقة ، وغجر٢ ٪، الأقباط ٩ ٪ . السودان ، البجا ٦ ٪ ، الهوسا ٤ ٪ ، النوبيون ٣ ٪، الفور ٢ ٪ ، شعوب صحراوية أخرى ٤ ٪ ، القبائل النيلية وشبه النيلية ١٦ ٪، البانتو٢ ٪، الوثنيون (كلهم من غير العرب) ٢٥ ٪، المسيحيون ٥ ٪ .الجزائر، المسيحيون العرب أقل من ١ ٪، البربر السنة (أهمهم الشاوية والقبائليون والشلوح) ٢٦ ٪ - الإباضيون (المزابيون، وهم من البربر) أقل من ١ ٪ ، الطوارق (بربر سنة من البدو الرّحّل) أقل ٠,٥ ٪ - المسيحيون البربر (خصوصاً فى جبال القبائل) أقل من ١ ٪ .المغرب ، البربر ٣٦ ٪ ، الطوارق (بربر من

البدو الرّحل. أقل من ١ ٪ ، اليهود ٢,٠ ٪، الأوروبيون (الأغلبية مسيحيون) ١ ٪ ، الأفارقة (الزنج) أقل من١ ٪ .موريتانيا، المولّدون (عرب وبربر) ٤٠ ٪ ، الأفارقة الزنج ٢٠ ٪ ، البربر (بمن فيهم الطوارق) ٢,٥ ٪.

هذا فى المنطقة العربية فقط ، فإذا فتحنا حركى "البرجل" الى أقصاها فى المنطقة الشرقية) لنعبر الى ايران وماليزيا واندونيسيا وتركيا لراعنا هذا التباين الكبير ، الذى يبدو مريعا فى المنظور المباشر ، إيجابيا فى المنظور العام ، منظور الهوية الثقافية الإسلامية فى المنطقة .

فالهوية هنا لابد ان ترتبط بالحضارة ، الحضارة التى ترتبط لدينا بالوعى فى فهم تكوين الهوية وعناصرها فى حين انها ترتبط فى الغرب بالتفوق فى"تطبيق العنف المنظم" فى تعبير هانتنجتون .

الهوية يجب ان ترتبط لدينا بالوعى بالذات الاجتماعية والثقافية فى المنطقة .

وقبل هذا وبعده بالأخطار التى تتوالى علينا خاصة فى زمن العولة واخواتها وصولا الى الأزمة العالمية التى راحت

تبدد الكثيرمن الحجب والمسافات الوهمية في بدايات الالفية الثالثة ..

ولانني سعيت الى محاولة تأكيد هذه "الهوية" كخيار وحيد للعيش في هذا العالم ، فقد سعيت لتأكيد هذا في عديد من الاحتفاليات التي حضرتها في الحقبة الاخيرة داخل مصر وخارجها ، ولانه يصعب اعادة النظر الي هذا المشهد ، فسوف نسعى هنا لترك بعض التعبيرات والاسهامات في هذا الصدد ، في تاكيد ضرورة الحفاظ على الهوية الحضارية للعيش في العالم الغربي الإمبريالي في الشمال ..

....

عرفت النقيض حين عدت الى الارض العربية ثانية

عرفت المعنى الذي نجده في الاتجاه العام الى الغرب والاتجاه الواعي الدال ..

وعدت لافهم العديد من رموز حياتنا المعاصرة التي نعيش فيها دون ان نعيش فيها بوعي ، او بنظرة تتعمق في التاريخ لتعيده الى الحاضر الذي نعيش فيه

عدت الى فهم أو رؤية العديد من الرموز الدالة حولي وكأنني أراها لأول مرة

عدت استعيد العديد من هذه الرموز والرؤى فى عالمنا العربى هنا .

عرفت توجه سعد زغلول – التمثال الضخم له فى الإسكندرية وهو يتجه الى الغرب

فهمت موقف تمثال طلعت حرب فى وسط القاهرة وهو يتجه الى الغرب .

استعدت المشهد الذى راعنى فى العاصمة الجزائرية اول مرة، حيث رأيت التمثال الفخم الضخم للامير عبد القادر الجزائرى وهو شاهرا سيفه متجها الى الغرب او بشكل ادق الى الشمال حيث البحر وماوراء البحر فى الشمال .. لكنى اقتربت ودهشت أيضا من عديد من الابنية والابراج التى بنيت فى الارض العربية لكنها تتجه بالخطاب العام فيها الى الغرب ..

اقتربت وفهمت المعنى الحقيقى لعديد من القنوات الفضائية او الرقمية وهى تتجه بنماذجها الى الغرب

الاتجاه الى الغرب فى الوطن العربى فيمايبدو يحاكى الشكل أكثر من المعنى

كان الاتجاه فى كل مكان لايمثل الواقع القاسى بقدر مايمثل الرمز..

الاتجاه الى الغرب ضرورى لكنه لابد وان يرتبط بفلسفة العصر، بمنطق البقاء..

أردنا جميعا أن نتجه الى الغرب ، الغرب الذى ينتمى الينا نحن ابناء الشرق العربى والشرق الاسلامى - ..الغرب الذى لم يصل الى ماوصل اليه اليوم دون ان يتعرف انجازات الشرق العربى بعقيدته الاسلامية التى انطلقت ولقرون بعيدة بين أقصى المشرق الأوروبى القسطنطينية وأقصى المغرب الأوروبى الأندلس ..

كان لابد ان أفهم فى هذا كله حقيقة ان الغرب لم يصل الى حضارته قط بمعزل عن الحضارات السابقة عليه ، وهى الحضارة العربية التى عرفت صورا عديدة من التطور والتقدم فى هذه القرون التى كان الغرب يغفو عنها طويلا فى العصور الوسطى ، والتى يجب ان تعرف فى زمن هيمنة الغرب ان الطريق الى المنهج العلمى يمر بالغرب لكنه يعود لابد ان يعود الى الشرق العربى من جديد ..

عدت استعيد القهقرى حيث وقفت امام آيا صوفيا القسطنطينية وانا أتساءل .. كيف ان تركيا المعاصرة اليوم

لاتتجه مع اتاتورك الى الغرب الآن بقدر ما تسعى بوعى شديد الى الشرق ؛ إن تأمل موقف الحكام الاتراك والعلماء الاتراك اليوم يرينا ان تركيا تتجه الى الكعبة ..الى الفكر الاسلامى المستنير الى الهوية التى تفسح المجال بعيدا وعميقا لمعنى جديد او يجب ان يكون جديدا حين يتسلح بالوعى والمنطق فى هذا العصر ....

تتجه الى الحضارة الاسلامية ببصماتها العقيدية المستنيرة ليس مع تمثال اتاتورك الى الغرب وانما الى الهوى الاسلامية بمبادىء الاسلام الحنيف .

ليس الى الغرب بوجه صارم بقدرما يكون بعقل واع ، باتجاه إيجابى الى الحضارة الاسلامية بدلالاتها الممتدة الى بلاغة التاريخ وعبقرية الجغرافيا .. وحتمية الحضارة المعاصرة ..

هذه بعض الدلالات التى فرضت على العقل الواعى لدى وانا اتجول بين القسطنطينية وأنقرة وأزمير وقونية عود الى اسطنبول مرة أخرى قبل ان اعود الى الجنوب الى الواقع العربى هنا ، حيث يجب ان يمتد الوعى الحافز الى التقدم فى اتجاه الغرب ، ليس فى الاتجاه الجغرافى بقدرماهو الاتجاه الحضارى ..

عدت الى حقيقة بدهية ، هي .. اننا يجب ان نتجه الى الغرب بوعى شديد ، فالاتجاه الى الغرب يكون بالاتجاه الى التغيير الذى حثت عليه الآية الكريمة «إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» صدق الله العظيم...

العودة الى الوجه الحضارى الاسلامى هومايجب التنبه اليه قبل الصعود الى الغرب او الهبوط منه..قبل الخروج من درب المستقبل ..

حاولت إن اعيد صياغة هذه التحولات فى مقالة .. نشرت لتعبر عن درجة التحول من موجةالوعى القومى العربى الى عرض الموجة- التيار- ..تيار المستقبل ، حيث الفكر الانسانى الارحب ، حيث رمز الحضارة التى ينتمى اليها الانسان الذى يعيش فى الشرق من هذا العالم ، ويحمل انتماءات جنسية او طائفية اودينية او اثنية لكنه فى السياق الاخير يحمل دائما جينات الثقافة العربية التى توجد اليوم والآن فى بدايات الالفية الثالثة ، هذة الثقافة التى لابد ان تتبلور وتتطور اكثر لتأكيد الهوية المحددة فى الكينونة الحضارية الاسلامية العالمية .. فى زمن التعدد الطائفى او المذهبى وعصر «الفوضى الخلاقة» : الاميرياليين .

من المؤلفات المنشورة

النقد الأدبى :

- الاتجاه القومى فى الرواية : (سلسلة عالم المعرفة) الكويت , ١٩٩٤

(حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى النقد الأدبى ١٩٩٧)

الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩

الطبعة الثالثة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٥

- نجيب محفوظ الثورة و التصوف : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٩٤

الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الاسرة القاهرة ٢٠٠٢

الطبعة الثالثة ، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٥

- الشرقاوى متمردا : دار التعاون ، القاهرة ط١ ١٩٨٧

- اعترافات عبد الرحمن الشرقاوى، المجلس الاعلى للثقافة ١٩٩٠

- قضايا الرواية العربية فى نهاية القرن العشرين: المكتبة اللبنانية المصرية . القاهرة ١٩٩٩

- نقد الذات فى الرواية الفلسطينية : دار سيناء . القاهرة ١٩٩٨

- الغيم والمطر ، الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة : دار جهاد ٢٠٠٢ الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ .

- البنية الشعرية عند فاروق شوشة : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢

- عنصر المكان فى شعر محمد أبو سبنة:هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٦

- زكى نجيب محمود "سلسلة نقد الأدب" : الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٢ الطبعة الثانية ، الهيئةالعامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٥

- الخروج من التاريخ " دراسة فى مدن الملح " : الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣

- المسرح المصرى فى السبعينيات"ج١": الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٨

- المسرح المصرى فى الثمانينيات "ج٢": الطبعة الأولى، دار الوفاء القاهرة ١٩٨٤ : الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٩٥ .

- فى دائرة النقد : المجلس الأعلى للآداب ١٩٨٤

- اتجاهات النقد الروائى المعاصر : "ج١": الهيئة العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١

- الاتجاه الانسانى فى الرواية العربية ، الرياض ٢٠٠٧

- تحولات الرواية العربية ، إصدارات الجمهورية ، القاهرة ٢٠٠٧

- الاتجاه القومى فى الاغنية العربية ، دار العالم العربى ، القاهرة ٢٠٠٨

- عبد الرحمن الشرقاوى، الدلالة والاعتراف ، ط٢ ٢٠٠٩

الأعمال الفكرية:

- طه حسين و السياسة : دار المستقبل القاهرة ١٩٧٦

- تحولات طه حسين : هيئة الكتاب "ج٢" القاهرة ١٩٩٠.
- طه حسين وثورة يوليو: "ج٣" القاهرة ١٩٨٩
- طه حسين الذى لايعرفه أحد ج٤، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٥
- المفكر و الأمير ، العلاقة بين طه حسين والسلطة : الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٧
- المثقفون وعبد الناصر : دار سعاد الصباح ،ط١ القاهرة ١٩٩ الطبعة الثانية، دار غريب القاهرة ٢٠٠٠
- مثقفون وجواسيس دراسة فى أزمة الخليج : دار الأمين القاهرة ط١ - ١٩٩٧: دار العالم العربى ط٢-٢٠٠٩
- المثقف العربى و العولمة : مهرجان القراءة للجميع ، الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ٢٠٠١
- شهرزاد فى الفكر العربى الحديث : الطبعة الأولى دار الشروق القاهرة ١٩٨٥ دار شرقيات ط٢، القاهرة ١٩٩٥

- الجات و التبعية الثقافية : مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط١ ١٩٩ : مكتبة الأسرة ، هيئة الكتاب ط٢،١، ٢٠٠
: مكتبة الأسرة ، هيئة الكتاب ط٢،٢، ٢٠٠
- الذاكرة المثقوبة نهب وثائق العرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩
- القراءة للجميع داسة وتحليل : مهرجان القراءة للجميع، الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ٢٠٠١
- مستقبل الجامعة فى مصر : مركز الحضارة العربية، القاهرة ،٢٠٠٢
- المراكز البحثية العربية - " مركززايد نموذجا" (ج١) ٢٠٠٥ القاهرة
- المراكز البحثية الغربية صعود الاستشراق الجديد (ج٢) ٢٠٠٥
- مستقبل الفكر القومى العربى ، دارغزيب٢٠٠٩ - الكويت
- وثائق ومذكرات ثورة يوليو ، دار أطلس ٢٠٠٥ القاهرة

- المراكز البحثية العربية ، روز اليوسف ٢٠٠٤
- المراكز البحثية الغربية ، الدار المصرية اللبنانية ٢٠٠٧
- أقنعة الغرب ، دار العالم العربى ، القاهرة ٢٠٠٨
- مستقبل الديمقراطية والحوار العربى الاوروبى ، الاكاديمية ، القاهرة ٢٠٠٩

تاريخ حديث ومعاصر:

- الجبرتى والغرب دراسة حضارية مقارنة : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥
- الفريسة والصياد الدور الأمريكى فى اغتيال حسن البنا ،
- مدبولى الصغير ،القاهرة ٢٠٠١
- مؤرخو الجزيرة العربية : دار الموقف العربى ، القاهرة ١٩٨٠
- المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية : الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢
- حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية،

مركز الحضارة العربية ، القاهرة ٢٠٠١ : الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠١.

- الاوقاف على القدس وأكنافها دراسة ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٦

إبداع مسرحى :

- الحصار : مسرح شعرى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤

- الخروج من المدينة : مسرح شعرى ، الثقافة الجماهيرية ، القاهرة ١٩٩٥

- اللاعب : مسرح شعرى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٦

- عودة الفرعون ، الثقافة الجماهيرية ٢٠٠٩

- الطريق الى النمر، هيئة الكتاب ٢٠١٠

أدب الرحلة :

- جسر الجمرات
- مشرق ومغرب
- خدعة الحوار العربى- الاوروبى.

تراجم :

- أحمد بهاء الدين ، سيرة قومية : دار هلا ، القاهرة ١٩٩٦

(حصل على جائزة أحسن كتاب عن عام ١٩٩٦ بمعرض القاهرة الدولى للكتاب).

- اعترافات عبد الرحمن الشرقاوى : المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ١٩٩٦

- عمالقة و عواصف : دار الجهاد ، القاهرة ١٩٩٨

الترجمة :

- الوداع : ترجمة أخر أشعار أراجون : هيئة الكتاب ، القاهرة ١٩٨٦

سيرة ذاتية :

- قبل الخروج :ج١ سيرة ذاتية ، دار الهلال
- قبل الخروج:ج٢ سيرة قومية دار الهلال
- هوس الوثيقة ، دار الهلال ٢٠١٠
- يوميات عابر سبيل ، دار العين ٢٠١٠

معاجم :

- معجم مصطلحات التاريخ العربى الحديث والمعاصر، الهيئة العامة للكتاب ، ط١/ القاهرة ٢٠٠٢

الفهرس

رواية الهلال عدد ١٥ مارس

الغـــزالة

تأليف

قاسم مسعد عليوة

أحدث إصـــــدارات كتاب الهلال عامى ٢٠٠٩ - ٢٠١٠م

اسم الكتاب	المؤلف	الشهر	السنة
أبو نواس	عبدالرحمن صدقى	إبريل	٢٠٠٩
برتراند راسل أمام المحاكم الانجليزية الامريكية	د.رمسيس عوض	مايو	٢٠٠٩
دولة الأيام	رجائى عطية	يونيو	٢٠٠٩
من بعيد ومن قريب	د. مصطفى سويف	يوليو	٢٠٠٩
تراث المدن الإسلامية	د. خالد عزب	أغسطس	٢٠٠٩
التجديد والحفاظ على الهوية الإسلامية	د. جعفر عبدالسلام	سبتمبر	٢٠٠٩
الصهيونية تاريخها وأعمالها	حلمى النمنم	اكتوبر	٢٠٠٩
قد تكون الديانة تجسيداً للعقل	رجائى عطية	نوفمبر	٢٠٠٩
الحوار فى القرآن الكريم	د. محمد أبو ليلة	ديسمبر	٢٠٠٩
شخصيات ومواقف	د. وليد محمود عبدالناصر	يناير	٢٠١٠
كلام دبلوماسى	معصوم مرزوق	فبراير	٢٠١٠

هذا الكتاب

هذه محاولة..

هذه محاولة لفهم الحاضر ..

هذه محاولة لفهم الحاضر في حضور الوثيقة .. عبر مشاهد وشهادات أخيرة يحاول صاحبها أن يدون هذا المعنى من خاطر الكاتب المصرى في المشهد الرمز - حين كان متربعا ممسكا بلفافة بردى على حجره في الأسرة الخامسة في مصر القديمة وقبل أن يصبح في المشهد الراهن غائبا غائمافي متحف اللوفر بباريس في الألفية الثالثة..

إنها محاولة فهم مايحدث هنا والآن حين خرجنا من وثيقة التاريخ الى مكر الحاضر ، وحيث تغيب شعوب المنطقة التى نعيش فيها عبر أسماء أكثر من عشرين شعبا في أقطار عربية تنتمى الى عشرات الطوائف والمذاهب والأجناس والأقليات .. الخ ، وحيث أصبح الحاضر هو إعادة رصد لمواقف المصريين والعراقيين والسوريين والتونسيين او الشيعة والسنة والاقباط والامازيغ والحوثيين .. الخ أو وحين دارت المعارك الوهمية في المنطقة بين الشمريين والنعيميين والقحطانيين والعدنانيين والعنزيين والطائيين والقيسيين .. الخ حيث تتزايد الآن ألوان الطيف في المنطقة التى نعيش فيها ..

وهنا نغلق القوس ونمضي .. لنعود الى هذه المحاولة : المشهد - الشهادة - الوثيقة..

الهلال

مارس 2010 الثمن 5 جنيهات

- العدل المطلق فى الثقافة العربية
- ليست فتنة طائفية
- العلاج بالخلايا الجذعية

حول المؤتمر المنتظر

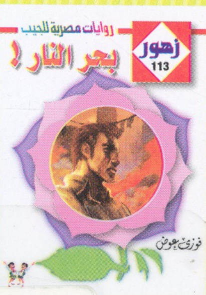
ماذا تريد مصر من المثقفين ؟

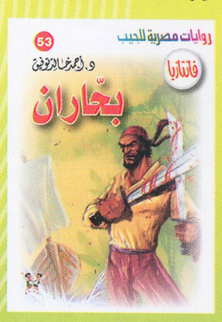
رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
عادل عبد الصمد

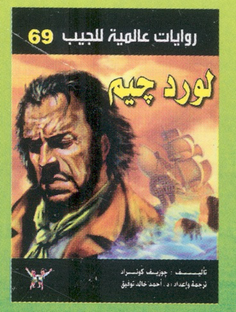
روايات مصرية للجيب

لا ترجمة ، لا اقتباس ، لا تقليد .. تأليف مصرى 100 ٪









المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقى الفجالة ،
4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت : 26823792 - 25928202 - 22586197
فاكس - 202/25966650 ج.م.ع ، 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850